مجلة
روايات أحلام

أيام في العذاب

www.elromancia.com

مرمورية

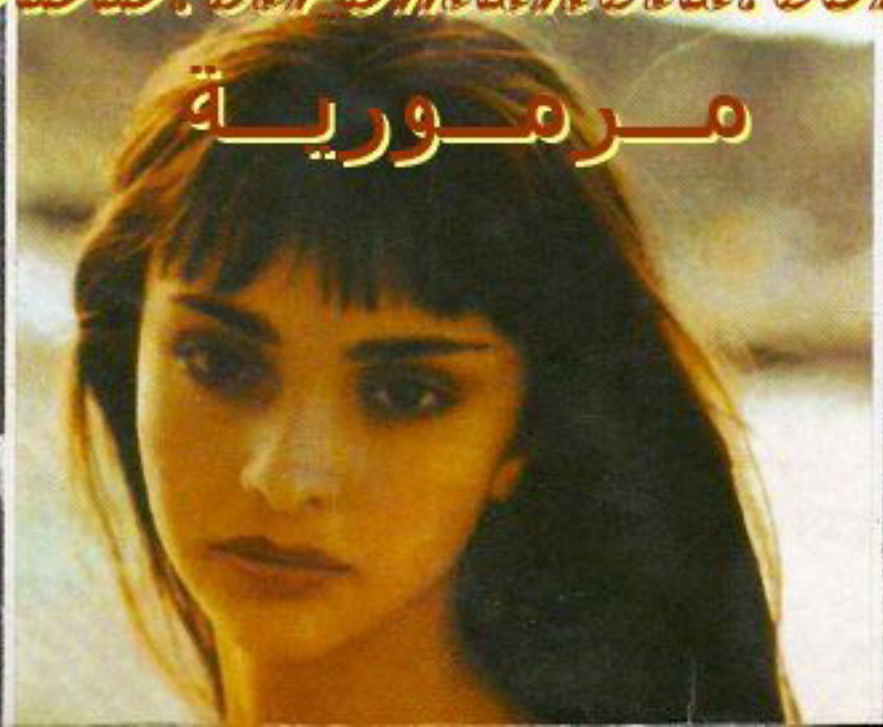

مجلة روايات احلام

أيام في العذاب

ليس ممنوعاً على الفقراء أن يحلموا لكن هل هناك حدود للحلم؟

كان أوسم رجل شاهدته أليسون، نظرت إليه من بعيد وفكّرت أنه أبعد حتى من أحلامها، لكن ماكس هاوتورن اقترب منها وقبل أن تستيقظ من المفاجأة قال:

- أنسة فيرلاي! أعرف أنك بحاجة إلى المال، وأنا على استعداد لتوفيره لك مقابل أن تتزوجينني.. زواجاً أبيض!

زواج؟ هل هذا الرجل مجنون؟... زواج أبيض أيضاً؟ وهل تستطيع أية امرأة البقاء بعيداً عن ذراعي رجل كهذا؟

لكن أليسون لم تكن تملك مجالاً للاختيار... أو للتفكير! فهل تقبل العيش مع رجل لا يرى فيها إلا فأرة صغيرة لا دور لها في حياته إلا تأمين مصالحه؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الامارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ كل شيء من أجل المال

مال ماكسمليان ليحدق عن ارتفاع ثمانية عشر طابقاً إلى شارع مكتظ في مدينة لندن. كانت يداه في جيبيه وأكمام قميصه مرفوعة بلا عناية إلى أعلى ساعديه.. بدا جسمه القوي الليّن مسترخياً، ولكن عقله كان يغلي مع أن صوته لم ينبيء عن توتره الداخلي حين تكلم:

ـ لم أعهدك تمزح في الأمور العملية تشارلز.

قال الرجل المسترخي في كرسي من الجلد الأسود: «لا أمزح».

أدار ماكس رأسه الأشقر، موجهاً نظرة باردة إلى خاله: «بل تمزح».

ـ إذن لماذا لا تضحك؟

ـ لأن دعابتك غير مضحكة.

عاد ماكس إلى كرسيه الذي تركه منذ لحظات.. ثم قال مقترحاً:

ـ فلنتخلص من الكلام السخيف تشارلز.

سحب سيكارة من علبة سكائره، ووضعها بين شفتيه، وقال مردفاً:

ـ أحتاج إلى خمسمائة ألف جنيه بسرعة، وأنت قادر على إقراضي المبلغ. فهل تقرضني إياه أم لا؟

ـ لماذا لا تقترض من جدك؟

رفع ماكس عينيه الباردتين الزرقاوين إلى خاله:

ـ شكراً لك.. ولكن دع جدي خارج هذا النقاش.

ـ بكل سرور.

ـ حسناً؟

ـ اسمع! أنا كما قلت قادر على إقراضك المبلغ ولكني لم أصل إلى ما أنا عليه بالمزاح في عقد الصفقات. عرضي واضح وليس فيه مجال للتفاوض.

أظهر ماكس في هذه اللحظة الضغط الذي يعاني منه إذ صاح:

ـ بالله عليك تشارلز.. هل جننت؟ هل أتزوج فتاة لا أعرفها لمجرد الحصول على قرض منك؟

أحس بدخول موظفة الاستقبال إلى المكتب، فرمقها بنظرة نفاد صبر: «نعم جاين ما الأمر؟»

ـ طلبت مني إحضار هذا التقرير من قسم المحاسبة.

ـ هذا صحيح.. شكراً لك.

ـ اتصل ويليام رايلي ثلاث مرات هذا الصباح سائلاً إن كنت مستعداً للتوقيع.

ـ في المرة القادمة، اقفلي الخط في وجهه.

هزت رأسها، ثم عادت إلى المكتب الخارجي، تقفل الباب وراءها بهدوء.. فعلق تشارلز:

ـ رايلي هذا لجوج؟

ـ بل هو يحب التلاعب، فهو يعرف أن من العسير جمع مبلغ نصف مليون جنيه نقداً في غضون أسبوع.

ـ بل ما أسهل ذلك!

فتح الملف أمامه، ورد بحدة:

ـ ولكني لست على استعداد للقبول بما تعرضه عليّ. هل نتكلم بطريقة جادة تشارلز؟

ابتسم الخال: «ألست عنيداً؟».

ـ تجد في هذا التقرير جميع التفاصيل.. أتريد إلقاء نظرة عليه؟

ـ لا حاجة لهذا.. لقد استولى رايلي على اتفاقية قرض وقعتها منذ سنوات، ومحاسبك اختفى بالمال الذي ستسدد به هذا القرض وقد أمهلك رايلي فرصة أسبوع لتدفع خمسمئة ألف جنيه قبل حلول يوم الاثنين القادم وإن لم تدفع أصبحت شركة هاوتورن ملكه بكل ما فيها. ألا يلخص ما قلته موقفك؟

قال ماكس متجهماً: «هذا صحيح».

ـ إذن، ما هي فرصك الأخرى؟ أنا آخر ملاذ لك. إن كل ما أطلبه في المقابل هو الزواج بهذه الفتاة لمدة سنة.

اعتلى صوت ماكس نبرة ساخرة:

ـ وهل هذا كل شيء؟ هل أنت متأكد أنك لن تطلب مجموعة أطفال مني كذلك؟

ضحك الخال عالياً:

ـ لا.. ماكس! لا تقلق.. لا أريد إلا زواج مصلحة.. أليسون هي ابنتي بالعمادة، وقد وجدت نفسها فجأة بحاجة إلى مبلغ ضخم من المال، ولكنها رفضت أخذه مني، وبما أنني مصمم على إعطائها المبلغ، فقد بدا لي هذا الزواج أفضل طريقة.

مد ماكس يده ليطفىء سيكارته:

ـ وما الذي يجعلك واثق أنها ستقبل الزواج بي؟

ـ ستوافق، على أي حال.. فهي بحاجة إلى المال.

ـ ولكنها ليست يائسة إلى درجة أن تأخذه منك.

ـ إنها ترفض الإحسان.

شعر ماكس بالانزعاج فقال:

ـ دعك من هذا تشارلز. إن وراء فكرتك المجنونة هذه أكثر مما تخبرني به، فما الذي تخفيه بالضبط؟

www.elromancia.com

ـ لا شيء إطلاقاً . . سأقرضك المال الذي تحتاجه شرط أن تتزوج أليسون وأنا مستعد لدفع أي مبلغ تريده لإقناعها بالزواج بك فماذا هناك أبسط من هذا الترتيب؟

صاح ماكس : «العزوبية» .

عبس خاله : «دع ابنتي بالعمادة جانباً . . ألا تريد الاستقرار والبدء بتأسيس عائلة في يوم ما ماكس؟»

ـ أنا لست من النوع المحب للزواج ، فالعمل هو كل ما يشغلني .

دفع كرسيه إلى الوراء ، ومدد طوله الذي يزيد عن المئة وثمانين سنتمتراً ، لينظر إلى الرجل الأكبر سناً .

ـ إنسَ أمر القرض تشارلز . لقد أسست هذه الشركة بمفردي مرة ، وسأبدأ بذلك من جديد .

ـ وماذا عن موظفيك؟ رايلي لا يحبك ، ولقد قلت إنه يخطط لطرد جميع موظفيك حين يستولي على الشركة .

ظهر التردد على ماكس لحظات ثم قال : «سيجدون وظائف أخرى» .

ـ لست واثقاً من هذا ، فالأيام عصيبة والوظائف صعبة المنال هذه الأيام .

دار ماكس حول مكتبه : «سأرافقك إلى الباب» .

ـ أيها العنيد الملعون!

لكن صوته حمل الإعجاب .

فتح ماكس باب مكتبه ثم توقف فجأة لمرأى غرفة الاستقبال مكتظة . كان جميع موظفيه هناك ، لعلمهم بأن وظائفهم معتمدة على هذا اللقاء مع تشارلز ويندورث . حين أطل مع خاله ران صمت قاتل فتفرس ماكس في الوجوه القلقة ، الملتفتة إليه بصمت وكآبة . . شعر بالأسى لأنه يعرف ما سيصيب موظفيه إن خسر الشركة ، إنه قادر على تحمل خسارة

الشركة أما هؤلاء فهم غير قادرين على ذلك .

أرجع ماكس تشارلز إلى الداخل ، ثم أقفل الباب . . وتبادل الرجلان نظرة طويلة ثابتة ، قبل أن يلتفت ماكس بحدة لاعناً وشاتماً . لقد دفعه اليأس وحده إلى طلب القرض من خاله ، فإن رفض القبول بشرط تشارلز ، فليس أمامه سوى بديل واحد . . لمعت الفكرة في رأسه ولكنه نحّاها بوحشية ، فهو يفعل أي شيء عدا الاقتراب من جده .

ـ زواج مصلحة ، يدوم فقط سنة ، وليس فيه روابط أخرى . أهذا هو الشرط؟

ـ أجل .

ضاقت العينان الزرقاوان فجأة :

ـ لا أدري أيهما أكثر إلحاحاً : حاجتي للمال أم حاجة ابنتك بالعمادة إلى زوج؟

ابتسم تشارلز :

ـ إن كنت تفكر في مساومتي فانسَ الأمر . فلا تحتاج أليسون إلى زوج بل إلى مال . . إن وافقت على الزواج بك مقابل مبلغ من المال حصلت على ما تريد على أساس أنها اكتسبته لا على أساس الإحسان . وإن لم تتزوجها وجدت وسيلة أخرى لمساعدتها .

ـ أهنئك على أخلاقها الرفيعة . هي لا تقبل الإحسان ولكنها تذل نفسها بقبول زواج من أجل المال .

رد الخال بلهجة حادة :

ـ لن تُذل على يدك! ستعاملها باحترام ولطف ، وإلا حرمتك من القرض متى شئت . أتفهم؟

ـ أنت تبتزني تشارلز! لا أظنك تريد أن تدفعني إلى هذا المدى .

أظهر الكهل الامتعاض ، وعرف ماكس أن ظنه في محله . إلام يخطط هذا الشيطان الخبيث؟ زواج دائم لابنته بالعمادة؟ أيأمل أن يقع

www.elromancia.com

ابن أخته رأساً على عقب في حبها وينتهي به المطاف إلى إعالتها طوال حياتها؟ إن كان هذا ما يظنه فستفشل مخططاته.. سيتزوج الفتاة ولكن سيتأكد أولاً من توقيع اتفاقية الطلاق بعد سنة دون المطالبة بأي مال أو أملاك.. لقد سبق له وأخطأ في وضع ثقته بامرأة، ولن يكرر تلك الغلطة.

تقدم إلى مكتبه ليتناول قلماً وورقة:

ـ ليت أليسون هذه قادرة على فهم القواعد الرئيسية، لتبقى بعيدة عن طريقي.. أين أستطيع الاتصال بها؟

قال تشارلز وهو يتقدم إليه:

ـ أوه.. لا تقلق من أليسون فلن تزعجك لأنها خجولة وهادئة وقانعة بانزوائها، لذا لن تجلب إليك المتاعب أبداً.

رافق تأكيده الخبيث تسلية ضاحكة في عينيه، لكن ماكس كان يراجع مفكرته ففاته ما كان دون شك سيعطيه لمحة عما هو آتٍ.

***

وجدت شمس الصباح طريقها عبر نافذة المطبخ فأنارت الجسد النحيل الواقف أمام الهاتف المعلق على الجدار. كما أضفت أشعة الشمس لمعاناً غريباً على الشعر الأسود وأظهرت بريقاً أخضر في عينين متعبتين.. ابتعدت أليسون فيرلاي عن أشعة الشمس وراحت تصغي إلى رنين الهاتف على الطرف الآخر.

أخيراً سمعت تكتكة، وصوتاً مألوفاً حبيباً على قلبها يقول: آلو؟

ـ آلو.. جدتي.. أنا أليس.. كيف حالك؟

ـ أليس! أنا بخير عزيزتي، وماذا عنك؟

ـ أوه، وأنا كذلك بخير..

أحست أليسون بالدموع تحرق مقلتيها، ولكنها قاومت ليبقى صوتها ثابتاً:

ـ كيف حال غريتا؟ قلت في رسالتك الأخيرة إنهم سيخرجونها هذا الأسبوع من المستشفى.

ـ وهذا ما حصل.. ولقد أحضرناها إلى المنزل بالأمس، ولم تمر دقيقة حتى كانت الحبيبة تغزو حقيبة حياكتي وتبعثر الصوف في كل المنزل! لكن رؤية السعادة على وجهها كانت تستحق الفوضى التي فعلتها يا أليس. لقد أمضت أربعة أشهر في المستشفى بين الغرباء والأوجاع.. والدها رحل وأمها مشلولة..

ـ لا شك أنها سعيدة بوجودها معك ومع جدي.

ـ أجل رغم جبائرها المحيطة بساقها، المسكينة! آه، انتظري، جدك آتٍ كلميه.

ـ أليسون؟

ـ جدي كيف حالك وكيف حال الصغيرة؟

ـ أنا بخير أما الصغيرة غريتا فما زالت بطيئة الحركة ولكنها تعود إلى حالتها الطبيعية تدريجياً فهي لا تذكر ديك أو أمّك أو أباك.

أغمضت أليسون عينيها أمام الألم المفاجيء. لقد مضت أربعة أشهر على الحادثة وما زال إحساسها بالخسارة عميقاً عميقاً بحيث يكاد يمزقها.

ـ أليس تقولين في رسالتك إنك بخير، ولكن أتقولين الحقيقة؟ أنت بمفردك هناك و..

ـ أنا بخير جدّي حقاً.

إن آخر ما يحتاجه العجوزان هو القلق عليها، فالحمل الملقى على عاتقهما ثقيل. بين أيديهما طفلة مقعدة عمرها أربعة أعوام وحفيدة في المستشفى مكسورة الظهر.

ـ أحس بالإحباط بين الحين والآخر، ولكنني سأعود إلى الجامعة في الأسبوع المقبل، وسأثابر على العمل مساءً. أتصل بكم لأقول

مرحباً.

- أتظنين أنك قادرة على تحمل ثمن الرحلة إلى هنا في الميلاد؟ ستفيد رؤيتك شاني وغريتا، وستفيدني أنا وجدتك أيضاً. أضيفي إلى ذلك أنه الميلاد الأول بعد الحادثة لذا يجب ألا تحتفلي بالعيد بمفردك.

- سأبذل جهدي. هل وصلكم الشيك الأخير الذي أرسلته؟

- أجل.. وصلنا.. ولكني ما زلت أعتقد..

- والآن يا جدي. ناقشنا هذه المسألة من قبل. رسوم التعليم وثمن الكتب مدفوعة، ولديّ سقف يأويني، وملابس أرتديها، وطعام آكله. فماذا أريد أكثر. وليس عليّ إلا البدء بتسديد فواتير المستشفى.

اعترفت تنهيدة ثقيلة من الجد بصحة ما تقول ومع ذلك قال محتجاً:

- أليس، أنت في العشرين من عمرك أي أصغر من أن تحملي على عاتقك كل هذا العبء، كان يجب أن تكوني منطلقة ومتفتحة على الحياة.

- وهذا أمر تباحثناه من قبل. كلنا معاً في هذا المصاب أتذكر؟ أضف إلى هذا أنها سنتي الدراسية الأخيرة ومن المهم نيل درجات عالية، لذلك لن يتسنى لي وقت لأمور أخرى على أي حال.

نظرت إلى ساعة المطبخ وأكملت:

- تكاد الساعة تبلغ السابعة حسب التوقيت المحلي لذا يستحسن أن أذهب وإلا تأخرت على العمل.. ودع جدتي وغريتا نيابة عني وبلّغ سلامي لشاني حين تراها في المستشفى. سأراسلكم قريباً..

علقت السماعة ووقفت تنظر إلى الخارج من نافذة المطبخ ولكنها لم تكن ترى شيئاً فالذكريات الأليمة طفت إلى مخيلتها. كان والداها يمتلكان متجراً للأنتيكات في بلدة صغيرة في ويلز، حيث ترعرعت. ولكن المتجر أفلس في مطلع السنة وبسبب سوء الأحوال الاقتصادية العامة حمل أبواها أمتعتهما وانطلقا بالسيارة إلى ليڤربول ليعيشا مع والدي

والدها ريثما يتمكنان من الوقوف على أقدامهما مجدداً، ورافقتهما في سفرهما هذا شقيقة أليسون الكبرى وزوجها وابنتهما الصغيرة.. لكن لم تتم الرحلة سوى لشاني وابنتها الصغيرة غريتا.. فقبل أن يصلوا إلى وجهتهم بخمسة عشر ميلاً، تحطمت سيارة أبويها في حادث حصد سيارات عديدة. عندما تلقت أليسون اتصالاً من جدها المفجوع كانت قد عادت منذ فترة وجيزة من الجامعة بعدما أنهت امتحانها الأخير. يومذاك أصيبت بالصدمة والذهول وحاول عقلها رفض هذا الخبر الفاجعة. بعد أسبوع على هذه الحادثة تبدلت حياتها بشكل مأساوي. شقيقتها التي أصيبت بشدة من المتوقع أن تعيش ولكنها بحاجة إلى سلسلة من العمليات الجراحية ذات النفقات المرتفعة حتى تسير ثانية. وكان لدى ابنة شقيقتها عظام مكسورة ستدفعها إلى المكوث في المستشفى عدة أشهر.

وهكذا وقع على عاتقها تكاليف المستشفى كلها ولم تجد من حل إلا العودة إلى عملها الصيفي المعتاد كمساعدة في مكتب مؤسسة تجارية كبيرة، ثم وجدت وظيفة مسائية في مقهى في المنطقة التجارية من المدينة فعملت نادلة فيه واستأجرت غرفة في نزل رخيص صغير وباعت سيارتها وعمدت إلى ادّخار المال غير أنها كانت تأمل أن تتحسّن أوضاعها بعد التخرج. حضرت نفسها لدراسة السنة الأخيرة في الجامعة وكان قد تكفل بتسديد الرسوم منحة دراسية حصلت عليها إثر تخرجها من الثانوية.

الآن أقبل أيلول وها قد مضت أربعة أشهر ونصف على الحادثة.. خلالها أرسلت أليسون ما تجنيه من وظيفتيها الصيفيتين ليستخدمه جداها في تسديد فواتير المستشفى لشاني وغريتا. ولكن ما زالت الحاجة إلى المزيد من المال ماسة.. فللعجوزين منزلهما وراتب التقاعد فقط، وهذا يعني أن من العسير عليهما مادياً تحمل نفقة غريتا الصغيرة أثناء

وجود أمها في المستشفى. ثم هناك تكاليف العمليات الجراحية التي أجرتها أختها ومصاريف العلاج الفيزيائي المطلوب لاستعادة عافيتها الكاملة. وإن لم تتمكن شاني في النهاية رغم العمليات من السير على قدميها ستحتاج إلى مالٍ لإعالتها وإعالة ابنتها.

في الأشهر الأخيرة الماضية وقع الحمل كله على عاتق أليسون فكانت تبدأ بالعمل في المكتب من الثامنة صباحاً حتى الرابعة من بعد الظهر ثم تنتقل إلى المقهى الذي كانت تظل فيه في عمل دؤوب حتى منتصف الليل، ولم يكن لديها الوقت الكافي للتفكير في صحتها. فنحل جسمها الذي لا يتجاوز طوله مئة وخمسة وستين سنتمتراً وبانت عظامها الرقيقة. وكان وجهها الصغير البيضاوي الذي لا شائبة فيه قد فقد رونقه وبات شاحباً وظهرت الهالات السوداء حول عينيها وفقد الشعر الأسود الحالك لمعانه الحريري، وهذا كان حال عينيها الخضراوين اللتين فقدتا رونق الحياة. رفضت الاعتراف بهذا لنفسها..

ـ هاي.. هل ستقفين هناك طوال اليوم يا فتاة؟

جذبها الصوت الأجش البغيض من أفكارها فعادت إلى حاضرها. نظرت إلى الساعة فوجدتها قد تجاوزت السابعة والربع، وقد تأخرت.. فقالت تحاول تجاوز المرأة الصغيرة الجسم الفضية الشعر:

ـ آسفة سيدة ديكسون غرقت في التفكير.

ـ تفكرين في دفع الإيجار على ما أرجو، لقد تأخرت على الدفع ثمانية أيام!

توقفت أليسون والارتباك في عينيها الخضراوين:

ـ أوه.. أرجوك سيدة ديكسون، أعدك بالدفع يوم الاثنين..

ـ من الأفضل أن تسددي دينك يوم الاثنين وإلا طردتك. فأنا لا أدير منزلاً للأعمال الخيرية.

تقدمت المرأة إلى المطبخ، فهرعت أليسون بسرعة إلى غرفتها

الصغيرة تحت الأرض وشرعت ترتدي سروالاً بنياً وكنزة عاجية وما هي إلا دقائق حتى كانت تركض على الرصيف نحو الباص، تتوجه إلى عملها.

كانت الساعة الثامنة عندما وصلت فأسرعت إلى مكتبها في قسم المحاسبة وشرعت بالعمل. وفيما هي غارقة في كشف حساب مالي تلقت اتصالاً هاتفياً:

ـ صباح الخير أليسون تتكلم.

ـ أليسون فيرلاي؟

ـ أجل!

كان الصوت جذاباً وأجشّ بشكل مثير إلى أقصى حد.

ـ أدعى ماكس هاوتورن، ولديّ أسباب خاصة لمقابلتك في أقرب فرصة. متى تكونين حرّة؟

سألت بحيرة: «أنا، عفواً؟».

ظهر نفاذ الصبر في لهجته:

ـ أريد رؤيتك اليوم آنسة فيرلاي لمناقشة عمل ما. متى نتقابل؟

سألته حذرة: «أواثق أنك تكلم الشخص المطلوب؟»

من هو بحق الله ماكس هاوتورن؟ الاسم غير مألوف لها.

ـ كل الثقة. وللمسألة العملية أهمية خاصة.. هل أنت حرّة وقت الغداء؟

ـ أجل.. أنا حرة.: لا.. أعني لا أريد قبول دعوة إلى الغداء بل أكتفي بفنجان قهوة! أستطيع..

ـ عظيم.. ثمة مقهى قريب من مكان عملك سألقاك فيه بعد خمس دقائق.

أقفل الخط تاركاً نفسها في اضطراب، إنه رجل متسلط ماكس هاوتورن هذا؟ وعجول أيضاً. إنما ما العمل الذي قد يكون بينهما؟

www.elromancia.com

تناولت أليسون حقيبة يدها من درج مكتبها السفلي واتجهت إلى المصعد.

لم يكن المطعم الذي اختاره للقاء مكتظاً بالناس وترددت أليسون قرب مكتب المحاسب الفارغ، تتأمل الموجودين في المطعم، ترى كيف تعرف الرجل الذي ستلقاه..؟ هزت كتفيها، واتجهت إلى طاولة قابعة قرب النافذة فبما أنه من حدّد الموعد فليقم هو بالتقدم إليها. طلبت فنجان قهوة من الساقية، وأسندت ظهرها تنتظر، تنتظر.. وتنتظر..

ـ واو.. ما هذا العملاق! أحب لو أكون بين ذراعيه!

نظرت أليسون من فوق كتفها فقد تفوهت بهذه الملاحظة المجنونة إحدى الشابات الجالسة إلى المائدة خلفها وكانت هؤلاء الشابات يحدقن إليه بفضول. إنه رجل في أوائل الثلاثين يقف في الباب محدّقاً، إحدى يديه في جيب سرواله. كان بدون مبالغة أوسم رجل رأته أليسون. وجهه أسمر وقسماته منحوتة بإتقان، ورجولته تفرض نفسها فرضاً. أما عيناه فثاقبتان زرقاوان مستقرتان بين حاجبين مستقيمين، فيهما برودة تساوي برودة الفم المستقيم غير المبتسم.. وكانت قطرات من المطر تلمع فوق شعر أشقر ناعم. طوله مئة وثمانون سنتمتراً، وحركته رشيقة، في مظهره ثقة بالنفس عارمة وبرودة رجل اعتاد الحصول على ما يريد بطريقة باردة متقنة. بعثت هذه الفكرة إلى أوصالها رعشة حذر، فارتجفت بطريقة لا إرادية ثم تولى المنطق الدفّة، فنهرت نفسها وطردته من نفسها. وعادت تركز اهتمامها على فنجان القهوة الباردة.. لقد تأخر ماكس هاوتورن، وإن لم يظهر في فترة قريبة فليحتفظ بمسألته العملية و..

ـ آنسة فيرلاي؟

رفعت أليسون بصرها بذهول فوجدت الغريب الأشقر قد توقف أمام طاولتها:

ـ ماذا؟

ـ ألست أليسون فيرلاي؟

ـ أجل.

ـ أنا ماكس هاوتورن.

جلس على كرسي قبالتها. ثم فتح باب الحديث:

ـ أشكرك لأنك وافقت على مقابلتي آنسة فيرلاي.. لا أدري إن ذكرت هذا في مكالمتي، ولكن لدي اقتراح عمل أعرضه عليك.

* * *

٢ ـ عروس الوهم

سألت أليسون بحيره: «عفواً؟».

ـ أقترح عمل.. صفقة..

ـ شكراً لك، أعرف معنى الكلمة ولكن أي نوع من الاقتراحات؟

تراجع ماكس هاوتورن في كرسيه ينظر إليها بدون أدنى اهتمام، يتأمل «ذيل الحصان» الأسود ووجهها الشاحب، وافتقار عينيها إلى الإشراق. أمسكت أليس جبهتها بيديها، وأغمضت عينيها بتعب مفاجيء، كانت تريد النوم، تريد وقتاً لتبدو جميلة، تريد الاستيقاظ في الصباح بدون الإحساس بالذعر بصدد المال الذي هي بأمس الحاجة إليه.. ولكنها لا تحتاج إلى رجل كهذا الجالس أمامها الذي يتطفل على حياتها باقتراح غامض تافه على الأرجح، هذا الرجل الذي يتأملها بطريقة مهينة جعلتها تدرك مدى التعب البغيض البادي على وجهها. أرادت أن تقول ارحل وأناقتك إلى مكان آخر، ولكن ضميرها المتعب، طالبها بأن تكون مؤدبة. فسألته رغم صداعها:

ـ ما اقتراحك؟

ـ أعرف أنك بحاجة إلى المال.

رفعت أليس رأسها لتحدق إليه: «ماذا؟».

ـ أليس هذا صحيحاً؟

استوت في مكانها بحذر: «ومن أخبرك سيد هاوتورن»؟

ـ لا أهمية لهوية الشخص.

عبست أليسون، لقد كانت مشغولة في الصيف بحيث لم تستطع إقامة صداقات وهذا يعني أن قلة من الناس يعرفون الصعوبات التي تواجهها.. إذن، فمن أين لهذا الرجل هذه المعلومات؟ قالت له باحتراس:

ـ أتقول إن لاقتراحك هذا علاقة بالمال؟

أطفأ سيكارته، ومال إلى الأمام، يخفض صوته لئلا يسمعه أحد:

ـ إن تزوجتني، وعشت معي مدة سنة أعطيتك عشرين ألف جنيه إضافة إلى مصروف شهري قدره خمسة آلاف جنيه. وأضيفي إلى هذا المبلغ سبعين ألفاً في نهاية الأشهر الاثنتي عشرة، واعلمي أن الزواج سيكون أبيض.

ـ ماذا؟

زواج أبيض! من هي المرأة القادرة على البقاء نقية مع رجل كهذا في المنزل؟ يا الله.. لماذا تفكر في هذا؟ الزواج؟ الزواج؟ رفعت صوتها:

ـ أتزوج بك؟ أهذا هو عرضك؟

كان صامتاً يدرس ردة فعلها، فسارعت إلى جمع شتات أفكارها.. وأضافت: «لست جاداً؟».

ـ بل أكثر من جاد. فإن تزوجت قبل يوم الاثنين القادم، تلقيت مبلغاً كبيراً من المال.. لقد طرح اسمك أمامي شخص ما.

ـ شخص ما؟ من هو؟

ـ شخص يعرف مدى حاجتك الماسة إلى المال غير أنه لم يقل سبب حاجتك تلك ولست مهتماً بمعرفته.

لا.. لا يبدو مهتماً. إنه بكل تأكيد بارد الدم، متعجرف أيضاً. أيتوقع منها القبول؟

ـ سيد هاوتورن، أنت غريب عني.. ولكن وإن كنت جاداً، فلن

أفكر أبداً في عرضك. إن قررت يوماً الزواج فسيكون زواجي بدافع الحب لا بدافع المال. كما أنني لن أتزوج قبل أن أخوض مضمار المهنة التي أريدها.

ـ آنسة فيرلاي، لا أكترث البتة لأسباب رفضك.. تكفيني كلمة لا. على أي حال، أريد منك أن تصغي إلى ما تبقى من الاقتراح قبل إعطائي الرد النهائي.

اخترقت عيناه الثاقبتان نفسها، فبدت منومة مغناطيسياً بفعلهما ولم تستطع سوى الإطراق بصمت:

ـ إن وافقت على الزواج، شاركتني شقتي، التي سيكون لك فيها غرفة وحماماً وسأسمح لك باستخدام مسبح في المبنى إضافة إلى تسهيلات مغرية أخرى. سنعيش معاً، إنما منفصلان بحيث تكون لكل منا حريته في عقد الصداقات الخارجية ولكن سيجمع بيننا عقد ينص على أن يفي كل منا بالتزاماته.

ـ وما هي؟

ـ إنها قليلة، سأدفع كل شيء: المبلغ المبدئي والمصروف، والمبلغ النهائي شرط أن تشاركيني شقتي مدة اثنتي عشر شهراً ولك أن تنفقي مالك بالطريقة التي تريدين وإن شئت الزواج فلن أعارض أبداً.

تنحنحت أليس: «وهل يحب أن يكون الاتفاق سرياً؟».

ـ يصعب ذلك علماً أنني لن أشل حركتي ونشاطي كي ينسجم مع الموقف. وبما أن بعضاً من نشاطي يشمل النساء، فلا أظن أن من العدل أو الصدق إخفاءك في خزانة.

فكرت تحسد أولئك النساء: يا لهن من محظوظات. ولكنها نهرت نفسها على ردة فعلها غير العادية.. ماذا دهاها؟ إنه مجرد رجل..

ـ وهل سيتم الطلاق في نهاية العام؟

ـ سنبطل الزواج لأنه زواج لن ينفذ على أي حال.

آه، لم تتمكن أليسون من منع الاحمرار الذي غزا وجهها. تباً، تباً، فسيعرف الآن أنها عذراء صغيرة ساذجة. نظرت إليه بامتعاض فأدهشها مرح غير متوقع في عينيه، وكأنه يعرف في ما تفكر.

ـ سيد هاوتورن، أنا لا أعرفك، ولست مستعدة للمخاطرة في العيش مع رجل غريب تحت ظل سقف واحد.. أنا واثقة أنك..

ـ صدقيني يا آنسة فيرلاي. إن طهارتك ستكون آمنة معي، فلست معتاداً على إغواء حمل بريء مثلك.

أليس، المؤدبة دوماً، ابتلعت الرد اللئيم الذي أوشكت على التفوه به.. وقالت بهدوء:

ـ آسفة سيد هاوتورن إن خيبت أملك، لكن ردي ما زال «لا».

رد دون اكتراث:

ـ لم يخب أملي.. فليس من الصعوبة إيجاد امرأة ترغب في الزواج من أجل المال.

وهب واقفاً ثم ابتعد على غير استعجال فلاحقته نظرات أليس الدهشة، فلم تكن تتوقع أن ينتهي النقاش بينهما فجأة، بل توقعت منه استخدام بعض الإقناع. ورغم عدم رغبتها في الارتباط الذي سيؤخرها عن تحقيق أهدافها العملية وطموحاتها أحست بإحساس بالندم على رحيل ماكس هاوتورن.. في هذا الرجل ما يجذبها إليه، ليس مظهره فقط بل شيء آخر، هو الإحساس بالأمان فهي تشعر بأنه قادر على إزالة متاعبها كلها ولكن هذا أمر مؤكد إن قبلت ماله.

اعتلت تقطيبة جبهتها.. فهذا أمر آخر: كيف عرف بأمرها؟ وكيف عرف بحاجتها اليائسة للمال؟

تحولت أفكارها كحالها دائماً إلى التفكير في احتياجات عائلتها. فأدركت أنها بكل أنانية، رفضت فرصة لمساعدتهم فما هي الكرامة والاستقلالية أمام مرض شاني وحاجتها الماسة إلى المال وأمام وضع

جديها اللذين يقومان برعاية طفلة مسكينة مريضة؟ ولكن أتبيع نفسها من أجل مئة وخمسين ألفاً من الجنيهات؟ نعم ستبيعها إن كان في ذلك إنقاذ لعائلتها.

أمسكت أليس بحقيبتها وهرعت إلى صندوق الدفع. إنها مرهقة فعلاً وتكاد تتهاوى. يجب أن تتزوج ماكس هاوتورن بغض النظر عن كل شيء.. فعائلتها هي جل اهتمامها.

سألت موظفة الصندوق وهي تفتش في حقيبتها:

ـ كم أدين لكم؟

ـ السيد الأشقر سدد الفاتورة عزيزتي.

ـ حسناً.. شكراً لك.

أسرعت أليس إلى الباب وهي تفكر في أن من المستحيل أن يكون قد ابتعد..

وقفت فوق الرصيف، غير مبالية بالمطر المنهمر، تتطلع بيأس حيث شاهدت ماكس هاوتورن يبتعد.. لحظة.. هل هو ذلك الرجل الذي يصعد إلى سيارة؟ شاهدت المعطف الأسود الواقي من المطر، والشعر الأشقر تحت المظلة فحثت الخطى لتوقفه وفي غمرة سرعتها العمياء نسيت أن تنتبه إلى السيارات المارة.. ولم تشعر إلا بيدين تشدانها إلى صدر قوي.. ولم تر إلا سيارة تمر بها.

ـ كدت تقتلين نفسك..

كان صوت ماكس هادئاً، لكن أليس كانت تشعر بارتفاع صدره وهبوطه السريع. كان عليه التحرك بسرعة لينقذها.. رفعت نظرها إلى وجهه، فكاد قلبها يتوقف.. فقال وهو يشير إلى الحقيبة المرمية أرضاً.

ـ لقد ابتلت حقيبتك.

ـ ماذا؟ أوه.. أجل.. هذا صحيح.

ابتعدت ذراعاه عنها، ثم انحنى ليلتقطها.. كانا يقفان معاً قرب

باب السيارة المفتوح، والمطر ينهمر بشدة فوق رأسيهما. قبلت الحقيبة منه وقالت بتردد:

ـ إذا.. إذا، كان عرضك ما يزال قائماً أود لو أقبله.

ـ نعم ما زال قائماً.. تعالي، فلنبتعد عن هذا المطر.

عارضته وهو يحاول إدخالها إلى السيارة:

ـ سأبلل لك المقعد.

ـ وأنا مثلك مبلل. ادخلي قبل أن نغرق.

دخلت أليس إلى السيارة، وحذا ماكس حذوها:

ـ اللعنة على المطر!

مرر أصابعه الطويلة في شعره المبلل قبل أن يمد يده إلى المقعد الخلفي ليحضر حقيبة الأوراق:

ـ ثمة اتفاقية أريد منك توقيعها قبل الزواج. إنها نسخة مكتوبة عما قلته لك في المطعم.

ارتجفت أليس، كانت ثيابها ملتصقة بجسمها، والماء يتقطر من شعرها فوق عنقها، وكان ماكس ينظر إليها نظرة ملؤها الفضول، ثم خلع معطفه وأعطاها إياه.

ـ أمعتادة أنت على السير تحت المطر بدون معطف؟

أخرج من جيبه منديلاً مكوياً نظيفاً: «خذي جففي شعرك».

ـ شكراً لك.. أنت في غاية اللطف.

رد بخشونة:

ـ لا أريد أن تموتي بذات الرئة قبل أن نتزوج.

قالت بجفاء: «هل لي أن ألقي نظرة على الاتفاقية؟»

قرأتها بإمعان فإذا هي مختصرة، لكنها تتضمن فقرة لم يذكرها لها.. حبست أنفاسها سخطاً إنها لا ترغب أبداً في المطالبة بماله أو ممتلكاته بعد انتهاء السنة.. تناولت القلم الذي أعطاها إياه ووقعت

www.elromancia.com

اسمها في أسفل الصفحة بطريقة تظهر له فيها أنها لا تأبه به أو بماله.

سألته وهي تعطيه القلم وكانت تحس بأنها وقعت لتوها حكماً بحرمانها من حريتها واستقلاليتها:

ـ لماذا يجب أن نتزوج؟

ـ لأن خالي لن يقرضني المال الذي أريد إلا إذا تزوجت. سأحتاج إلى اسمك كاملاً وإلى مكان وتاريخ الولادة لأطلب ترخيص الزواج.. سنتزوج يوم الاثنين.. ما الوقت الذي يناسبك؟

ـ الصباح لأنني سأبدأ الفصل الدراسي في الجامعة في الأسبوع القادم، غير أن المحاضرة الأولى لن تبدأ قبل الساعة الثانية بعد الظهر..

ـ ما رقم هاتفك؟

ـ ليس لدي...

ثم أعطته رقم هاتف السيدة ديكسون، اضافة إلى المعلومات التي يحتاجها. أقفل حقيبة أوراقه ورماها إلى الخلف:

ـ هذا كل شيء إذن. سأقلك الآن إلى المنزل.

أدار المحرك.. ولكنها قالت:

ـ لا.. لا بأس، أستطيع الوصول بالباص.

أولاً، عليها الاتصال بالمكتب لتقول إنها لن تتمكن من العودة بعد الظهر، مدت يدها إلى مقبض الباب، لكن السيارة كانت قد انطلقت.. وسمعت ماكس يعلق ساخراً:

ـ أشك في وجود سائق محترم يسمح لجرذ غارق بالماء مثلك بالصعود إلى باصه الجاف النظيف.

أدركت أن من المحال مناقشته، كما أنها متعبة ومبللة، وهي ليست في وضع مناسب للتمسك بعنادها أمام رجل واثق من نفسه. ولكن إن كان يظنها فأرة صغيرة ضعيفة يمكنه تجاوزها، فعليه أن ينتظر.

انطلقت السيارة بصمت إلى المنطقة التي تعيش فيها. لحسن الحظ

لم يكن مظهر نزل السيدة ديكسون الخارجي يشير إلى وضاعته من الداخل.. توقفت السيارة أمام الباب، وأعادت أليس له معطفه ومنديله قبل أن تفتح الباب فقال باختصار: «سأتصل بك الليلة لأعلمك بالتفاصيل».

ـ أجل. أشكرك لأنك أوصلتني. وداعاً!

هرعت إلى القبو تفتح الباب بارتباك، ثم دخلت إلى غرفتها. بعد ذلك أمسكت منشفة، وأسرعت إلى الطابق الأرضي نحو الهاتف في المطبخ لتتصل بالمقهى الذي تعمل فيه بعد الظهر وفي نهايات الأسبوع.

ـ ديك، أنا أليس.. اسمع أنهيت عملي باكراً اليوم، هل أنت بحاجة إلى ساقية إضافية؟

فركت شعرها بالمنشفة، تنتظر مساعد المدير ليعود إليها.

ـ تحتاج؟ عظيم.. لا.. لا. سأقوم بدوامي المعتاد. فأنا بحاجة إلى المال الإضافي ليس إلا. حسناً سأكون عندكم بعد نصف ساعة.. شكراً ديك.

وانطلقت أليس بسرعة خارقة.

عادت إلى منزلها في الثانية صباحاً، فقد تأخرت في المقهى لأنها قامت بعمل لساعات إضافية وعندما عادت وجدت مذكرة ملصقة على بابها تقول لها أن تتصل بماكس. فجأة تذكرت أنه قال إنه سيتصل بها هذا المساء ورغم علمها بأنها ستوقظه، تسللت على رؤوس أصابعها لتتصل به فهذا هو الوقت الوحيد الذي تنجو فيه من تنصت صاحبة المنزل.

أجابها صوت ناعس متوتر بعد الرنة السادسة:

ـ آلو؟ ماكس هاوتورن؟

ـ من المتكلم؟

ـ أنا أليس.. أليسون فيرلاي.. تركت رسالة تقول فيها إن عليّ الاتصال بك.

- إنما ليس في منتصف الليل!

- آسفة، لقد وصلت لتوي، وهذه فرصتي الوحيدة لأكلمك على انفراد.

- أكنت في الخارج منغمسة في اللهو والعبث؟ أين هذا الضوء اللعين؟

سمعت أليس صوت تحطم شيء ما، ثم لعنة فسألته: «أنت بخير؟».

رد بأدب متوتر:

- بخير.. شكراً لك. حسناً.. حددت الموعد يوم الاثنين صباحاً في الثامنة والنصف. سيجري مأمور الزواج العقد في شقتي.

ذكر لها العنوان الذي اضطرت إلى حفظه في ذاكرتها لعدم وجود ورقة وقلم معها.. وأكمل:

- سنحتاج إلى شاهدين.. لدي صديق سجلت اسمه، فهل تريدين أن أحضر الآخر كذلك؟

- لا.. سأحضر شاهدي. كم من الوقت سيستغرق العقد؟ أتعلم؟

- ليس كثيراً.. هذا كل شيء إذن، أراك يوم الاثنين. عمت مساء.

أوت إلى فراشها. وبعد أربع ساعات استيقظت وهي على أتم الاستعداد للقيام بالعمل للمرة الأخيرة في المكتب. ذلك المساء داومت كالمعتاد في المقهى، بل زادت عليه وقتاً مضاعفاً يومي السبت والأحد، تقنع نفسها إنها بحاجة إلى المزيد من المال. ولكنها كانت في الواقع، تحاول إلهاء نفسها لئلا تصاب بالجنون مما هي مقدمة عليه ورغم العمل المرهق لم تستطع النوم. وعندما أطلّ صباح الاثنين كانت في أشد حالات الإرهاق والتشويش.

قالت لصورتها في المرآة: «يا لك من عروس!».

ارتدت تنورة رمادية، وسترة مناسبة، فوق بلوزة بيضاء واسعة. لم

تكن هذه أفضل ملابسها، ولكنها كانت تخفي تحولها قليلاً، وكانت تأمل أن تتجنب محاضرة متفجرة من أعز صديقة لها.

لكن آمالها لم تتحقق، فما إن توقف القطار حتى كانت سالي ديمبستر أول الخارجين منه تعانق أليس بشدّة، ثم تراجعت إلى الوراء، لتفسح مجالاً لغضبها:

- اللعنة أليس! قلت لي إنك بخير. انظري إلى نفسك فما أنت إلا هيكل عظمي متحرك.

- أنا لست هكذا..

جذبتها الصهباء إلى زاوية معزولة:

- بلى.. أنت هكذا.. أنا أفهم لماذا لم تراسليني لتخبريني بما حدث لوالديك وشقيقتك، فأنا كنت في أوروبا ولكن حين عدت في الأسبوع الماضي واتصلت بك على الرقم الذي تركته مع أمي، قلت لي إنك بخير. ولكن لو عرفت بأي حال أنت لحضرت من حيث كنت فوراً.

- كانت دروسك في الجامعة على وشك أن تبدأ، وأنا..

- اللعنة أليس! لا تعني دروسي لي شيئاً وأنت في مأزق..! ما الأمر؟

استندت أليس إلى قضيب السياج الحديدي:

- أنا متعبة فقط هذا كل شيء.

- لا يدهشني هذا، خاصة وأنت تقومين بعملين. ثم ماذا عن هذا الزواج؟ اتصلت بي في الأمس قائلة انك ستتزوجين اليوم ثم طلبت مني بكل بساطة وبدون شرح أن أكون الشاهدة.

قالت أليس بصوت منخفض:

- ما كنت مضطرة للمجيء، لو كنت مشغولة..

- أنا هنا الآن لكنك حتى الآن لم تخبريني شيئاً عن العريس.

- اسمه ماكسيم هاوتورن.

ـ ماذا؟

نظرت أليس إلى صديقتها بذهول فقد حوّل ذكر اسم ماكسيم سالي إلى تمثال صخري:

ـ قلت..

ـ سمعت ما قلته! أمن بين رجال العالم كله تتزوجينه؟ أليس لن تتزوجيه إلا على جثتي!

ـ معنى هذا أنك تعرفينه؟

ـ أعرفه؟ إنه لا يترك لأحد مجال التعرف إليه! ولكنني التقيت به، وأعرف أنه بارد القلب مغرور..

ـ سالي.. إنه ليس كما تصفين.. أعني..

ـ إنه كما أصف وأكثر! لقد تواعدت معه شقيقتي الكبرى مدة شهرين، ومما أطلعتني عليه..

ـ سالي.. لا يمكنك تكوين رأي عنه بناء على ما قالته لورا لك عنه! تعرفين نعم المعرفة أنها تشوّه سمعة من لا يعجبها. أراهن أن فكرة الانفصال كانت فكرته ولهذا شعرت أختك بالغيظ.

ـ أتقولين إن أختي كاذبة؟

ـ أنت من نعتها بالكذب.. ولقد رأيت هذا بنفسي!

ساد صمت قصير.. ثم اعترفت سالي مرغمة:

ـ حسناً.. إنها كاذبة.. لكن هذا خارجُ الموضوع.. أتحبينه؟

كانت لهجتها تشير إلى شعورها بأن من المستحيل على امرأة أن تحب رجلاً مثل ماكس.

ـ أنا بحاجة إلى مبلغ كبير من المال سالي. سبق أن أخبرتك عبر الهاتف. إنه لفواتير المستشفى و..

ـ أليسون ليونارد فيرلاي.. أتقولين لي إنك...

مر قربهما شابان أخذا ينظران إلى الفتاتين نظرات فضولية..

انتظرت سالي حتى ابتعدا قبل أن تكمل:

ـ هل تتزوجينه من أجل ماله؟

ـ جاءني يوم الخميس الماضي، يعرض عليّ الزواج على أساس اتفاق. فإن تزوجته لمدة سنة أحصل منه على ما مجموعه مئة وخمسين ألف جنيه.

ـ لا أصدق ما أسمع! أنت من بين كل الناس؟

ـ أرجوك افهميني سالي.. أختي وجداي قلقان بسبب تلك الفواتير، إنها تزيد عن عشرة آلاف دولار شهرياً.. وجداي لا يعيشان حياة سهلة.. نحن نحتاج إلى المال سالي.. وما دمت قادرة على الحصول على المال بزواجي من ماكس هاوتورن، فسأفعل.

تلاشى الغضب عن وجه حمراء الشعر.

ـ آسفة عزيزتي، أعتقد أنني لم أدرك مدى سوء موقفك. أفهمك الآن. لكن ماكس هاوتورن؟

ـ قابلته فترة قصيرة سالي، فبدا أن لا بأس به، صحيح أنه غير إنساني قليلاً، ولكنني لن أكون زوجته بالمعنى الفعلي فجلّ ما سيحدث هو مشاطرته السكن وقد لا أراه كثيراً..

ـ بالطبع، فسيكون خارجاً يلاحق النساء. ما الذي يجبره على الزواج؟

ـ يريد إنقاذ شركته.

ـ كم أن هذا لمثالي منه! فهو بالتأكيد لن يتزوج من أجل الحب.

ـ.. ولأن خاله لن يقرضه المال إلا إذا تزوج.

ـ أترين؟ عائلته تحاول الخلاص منه.

تنهدت أليس ساخطة: «سالي».

ـ حسن جداً.. قلت إنني أفهم دواعي زواجك، ولن أتدخل. ولكن فكرة أن يكون ماكس هو عريسك، لا تعجبني.

تسلل الارتباك إلى نفس أليس فقد أثارت كلمات سالي شكوكاً في أعماقها بشأن الخطوة المقدمة عليها. إنها ستعيش مع غريب. رجل أثبت بنفسه أنه بارد، غير مكترث، ساخر وغير ودود. وهذه جميعها دلائل سلبية تنذرها بأن من غير الحكمة زج نفسها في علاقة ما معه. إنه لا يهتم بالناس، ولا يسمح لشيء بأن يزعج توازنه النفسي والعاطفي.

- لن يحدث شيء يا سالي.. سيكون الزواج علاقة طاهرة.. سيذهب هو في طريقه وأذهب أنا في طريقي، وبعد سنة نبطل الزواج.. سيحدث الأمر ببساطة كما أقول لك.

- لا أظن أن الأمر سيبقى بسيطاً هكذا.

حالما انتهى الجدال، ركبتا الباص باتجاه شقة ماكس التي تبين أنها جناح كامل في مجمع سكني فاخر. فتح لهما الباب رجل أسود الشعر يرتدي سروالاً مخملياً، وسترة رياضية.. تركزت عيناه بإعجاب على سالي قبل أن تتوجها إلى رفيقتها الشاحبة.

- أنت أليس بدون شك. أنا روي كاميرون، صديق ماكس. ادخلا. ماكس يخابر المكتب فثمة مشكلة هناك. من هنا تفضلا.

لحقته أليس وسالي عبر باحة مفتوحة إلى سلم منخفض عريض يفضي إلى غرفة جلوس كبيرة مرتفعة السقف. كان ماكس واقفاً قرب خزانة حائط يحادث شخصاً على الطرف الآخر من الهاتف، نظر إليهما ثم أنهى المكالمة فجأة، قائلاً:

- اسمعي بيبيتا، يجب أن أنهي المكالمة الآن، سأكون في المكتب في التاسعة، وعندها نتباحث الأمر من جديد.

أقفل السماعة وقطع الغرفة لينضم إليهم، فتركزت عينا أليس المتوترة على البذلة البنية المفصلة لتناسب جسمه الطويل النحيل. إنه أوسم مما تذكر.. وأحست أليس، أنها وبكل سهولة، قد تجد نفسها مهتمة به. فأزعجتها الفكرة وانتفض جسمها الذي شعر قبل الأوان بالألم

الذي قد يوقعه عليها هذا الرجل بكلمة منه، أو لمسة حارقة واحدة.. هراء.. إنه ليس من طرازك، لذا لا أمل لك في الوقوع في حبه..

قال ماكس: «واثق أنا من أن روي قدّم نفسه. إنه شاهدي».

سألته سالي ساخرة: «وهل ستعطيه أجراً هو أيضاً؟».

سارعت أليس تقول: «هذه سالي ديمبستر، شاهدتي».

ثم أضافت قبل أن توجه سالي بندقيتها إلى الهدف الجديد:

- الساعة الآن الثامنة والنصف فهلا أنهينا الموضوع؟

- بكل سرور.

أشار ماكس إلى رجل قصير ينتظر بقلق:

- هذا السيد آرتشي، مأمور الزواج. سيد آرتشي، هذه أليسون فيرلاي، والشاهدة الأخرى، سالي ديمبستر.

تحلق الخمسة حول المدفأة. إن اختيار هذا المكان فكرة روي الذي رغم تحفظه بشأن الزواج الخالي من الحب بدا مرحاً وقد وبّخ ماكس لأنه لم يضع زهرة قرنفل في زر ياقة سترته.. فمرت سحابة سخط على وجه ماكس ولكنه عاد فتجاهل إشارة صديقه، وأشار إلى المأمور بالبدء.

أحست أليس بذعر مفاجيء يتصاعد إليها. الزواج يتم فعلاً. إنما ما زال بإمكانها توقيف كل هذا.. تلك الاتفاقية التي وقعتها لن تجبرها على الزواج.. ولكن شقيقتها.. جديها.. آه. يا إلهي!.. ماذا أفعل؟ إنهم بحاجة إلى مساعدتها.

من بعيد سمعت أليس نفسها تعطي الأجوبة الصحيحة بصوت مخنوق غير أن مظهرها الخارجي لم يشر إلى العذاب الثائر في داخلها. حين طلب المأمورخاتم الزواج.. اكفهر وجه ماكس لحظات، ثم خلع خاتمه المنقوش، وأمسك يدها الباردة.. كانت أصابعه دافئة، وأرادت أن تتمسك بها، أرادت أن توقف لحظة الالتزام بالحب والإخلاص هذه قبل أن يفوت الأوان.. ولكن، وسط ارتباك أليس وكراهيتها لما

يحصل، كان هناك إحساس قاتم بأنها إنما تقاوم بشدة لتبقي قلبها سالماً من أن يدوس عليه ماكس.

أخيراً انتهت المراسم وقال المأمور:

- . . الآن. فليوقع الجميع أسماءهم.

حالما انتهت آخر الإجراءات غادر المأمور الذي أعقب رحيله صمت قصير كسره ماكس:

- يجب أن أعود إلى المكتب.

أخرج من جيبه شيئين:

- هاك نسخة عن مفاتيح الشقة، ودفتر حساب المصرف. . الدفعة الأولى ونفقة الشهر الأول في الحساب الآن.

تناولتهما أليس بطريقة آلية وهي تفكر في أنها متزوجة من ماكسيم ريتشارد هاوتورن، الوسيم الغريب، الذي لا يرى فيها إلا وسيلة للحصول على قرض. تمكنت بصعوبة من الانتباه لما كان يقوله زوجها الجديد:

- يمكنك وصديقتك نقل أغراضك إلى هنا ساعة تريدين. . غرفة الضيوف في الطابق العلوي معدة لك. سأكون خارج المدينة بعد الظهر، فتصرفي وكأنك في منزلك. هيا بنا روي فلنذهب.

صاحت سالي:

- مهلك يا ولد. .

التفت ماكس إليها، فتقدمت إليه تواجهه:

- اسمع أنا مضطرة للعودة إلى ويلز لألتحق بجامعتي بعد الظهر أي أنني غير قادرة على مساعدة أليس في الانتقال إلى هنا، وهذا يعني أن عليك مساعدتها.

قالت أليس بإلحاح: «سالي أرجوك، لا أحتاج إلى مساعدة».

- بل تحتاجينها. ولو كان في هذا الرجل ذرة من العقل السليم

لساعدك. سأغادر حالاً، اتصلي بي مساء. وإن واجهت متاعب مع هذا العريس الموهوم، فاعلميني لأقوم أنا باللازم.

ثم انطلق الشاهدان معاً. والتفتت أليس إلى ماكس:

- سالي مخطئة. أستطيع تدبر أمري فليس لدي إلا أشياء قليلة.

رد بغضب بارد: «حسناً إن كانت أغراضك قليلة فهذا يعني أننا لن نتأخر في نقلها».

كانت الرحلة إلى منزل السيدة ديكسون صامتة. وحين حاول ماكس الخروج من السيارة، أوقفته أليس:

- أرجوك هلا انتظرت هنا؟ لدي حقيبة صغيرة ولن أحتاج إلا إلى دقيقة لإحضارها.

هز كتفيه بعدم اكتراث واستقر في مكانه: «كما تشائين».

سارعت أليس إلى غرفتها في القبو فهي لن تكشف نفسها أمامه ففيما بعد ستعود لتسديد أجرة الغرفة ولحمل أغراضها الأخرى.

- ها! إلى أين تذهبين أيتها الشابة؟

ذعرت أليس، يا الله. . أهي معتادة على التجسس على المستأجرين سراً؟

- سيدة ديكسون. . أنا. .

- تحاولين التسلل هرباً مني. حسناً. . هذا ما كنت أشك فيه، ولكنني لست ابنة الأمس. أين مالي. . يافتاة؟

نقلت أليس حقيبتها إلى يدها الأخرى.

- سأقبض راتبي في الحادية عشرة سيدة ديكسون. . وأعدك بأن أسدد ديني في القريب العاجل.

- قصة مخادعة! أنا لست عمياء. فأنت تحملين حقيبتك وتحاولين الهرب بدون أن تدفعي لي.

- لا. لم أكن أحاول الهرب. . أنا فقط. . سأنتقل إلى مكان آخر،

وكل ما سآخذه الآن هو هذه الحقيبة على أن أحمل الأغراض الأخرى عندما أعود إليك بمالك.

ـ تنتقلين! تنتقلين؟ بدون أن تنذريني؟ هذا مخالف للقانون يا فتاة! عليك أن تنذريني شهراً أو تدفعين شهراً سلفاً. أتحاولين سرقتي؟ أنا لست ابنة الأمس.. ادفعي أربعمئة جنيه أو أتصل بالشرطة!

نظرت إليها أليس بخوف. لقد نسيت كل ما يتعلق بشهر الإنذار لأن تفكيرها انصب على الخلاص من هذا الجحر بأسرع ما يمكن.

ـ سيدة ديكسون سأدفع لك مالك، فحالما أقبض راتبي سأعود إلى نزلك.

ـ أنت كاذبة! أرى هذا في عينيك!

قال صوت نافذ الصبر: «لماذا التأخير؟».

التفتت المرأتان إلى الجسد الطويل الواقف في النور القاتم القادم من النوافذ القذرة، وأكمل ماكس بحدة:

ـ أنا على عجلة من أمري.

تناول الحقيبة من يدها: «هل أنت آتية؟».

ـ سأكون معك بعد دقيقة فهلا انتظرتني في السيارة؟.

لم تكن أليس ترغب في أن يعرف مدى صعوبة وضعها المالي، ولكن السيدة ديكسون لم تكن لتفلت هذه الفرصة الثمينة من يدها.

ـ لا.. لن تفعلي.. إن لم تسددي ما عليك فليسدده صديقك الثري وإلا استدعيت الشرطة لكما.. لا تقل إنك لا تملك المال لقد شاهدت سيارتك عندما أوصلتها يوم الخميس.

نقل ماكس نظره بين وجه أليس المتورد حرجاً وبين وجه العجوز الساخط. ورد ببرود:

ـ أنا لست صديقها. أنا زوجها، فهل تشرحين لي الموقف بطريقة متعقلة.

ردت أليس: «لا شأن لك في هذا الأمر، أنا والسيدة..».

ـ إذن أنت زوجها؟ قصة غير معقولة! ولكن مهما كنت بالنسبة لها فلي عليها دين أريد تسديده حالاً؟

قالت أليس:

ـ سيدة ديكسون، قلت لك إنني سأسدده قريباً.

ـ كذابة! لا أصدق قصة راتبك المزعوم. أنت كاذبة سارقة! أتسمعين هذا؟ كاذبة وسارقة!

ارتدت أليس خطوة للوراء أمام الاتهامات الشرسة، وأحست بذراع ماكس الأخرى تلتف على كتفيها، وتشدها إلى جانبه بأمان.

ـ إن قالت لك أليس إنها ستسدد ما عليها يا سيدة ديكسون، فستفعل. مع ذلك، ولأنك تشكين في صدقها، قولي كم هو المبلغ لأدفعه حالاً.

قالت أليس بصوت متوتر وجسدها كله ملتصق بجسد ماكس: «أستطيع أن أدفع أنا».

قالت المالكة بشراسة:

ـ أربعمئة جنيه.. هذا هو المبلغ، فأنا لا أدير جمعية خيرية.. وهذه اللصة الحقيرة..

قاطعها ماكس بلهجة قاطعة باردة كالجليد:

ـ أقترح عليك إبقاء تعليقاتك الشخصية لنفسك، وإلا انتهى الأمر بك بلا مال. من أجل ماذا هذا المبلغ كله؟

خافت المرأة بعض الشيء:

ـ مئتا جنيه عن شهر أيلول ومئتان أخريان عن شهر الإنذار.

لم يفت ماكس حالة القبو المزرية:

ـ أنت تمزحين! يخالجني شعور أن مكتب شؤون المستأجرين سيولي اهتماماً للإيجار الذي تفرضينه على مستأجريك سيدة ديكسون..

www.elromancia.com

هاك ثلاثمئة جنيه وهي كثيرة عليك.

غيّر ذكر مكتب شؤون المستأجرين لون العجوز فتناولت المبلغ وابتعدت، ولكنها التفتت لتقول:

ـ تأكد من أن تحمل أغراضها كلها معها، فلا أريد أن تخلّف وراءها أية قذارة.

التفت ماكس إلى أليس:

ـ ألم تقولي إنه ليس عندك سوى حقيبة واحدة؟

ـ اسمع.. لا أريد إزعاجك.

ـ لقد أزعجتني وانتهى الأمر.. أية غرفة غرفتك؟

تركته يدخل غرفتها الحقيرة فعلّق متجهماً: «مكان ساحر».

لا عجب إذن، أن ترغب الفتاة في المال، إن كان هذا المكان هو مسكنها.. قالت أليس وفي صوتها نبرة دفاع:

ـ سيبدو المكان أفضل حالاً حين أخرج أمتعتي.

ـ لن يكون مكبّ النفايات هذا أبداً أفضل حالاً.. كيف تأكلين بدون براد أو سخّان كهربائي؟

ـ أتدبر أمري.

ـ لا يبدو أنك تأكلين جيداً وأنت نحيلة كعصا المكنسة.

نظر باشمئزاز مرة أخرى في المكان، ثم تحرك إلى متاعها:

ـ كيف كنت تتوقعين نقل هذه الأشياء إلى منزلي وحدك. وما هذا؟ إنه صندوق يكاد يزن طناً.

ـ كنت سـ..

ـ ستتدبرين أمرك.. أعرف.. فأنت شخص مستقل قادر.

التقط الصندوق الثقيل:

ـ احملي الصناديق الأخف وزناً، وإن وجدتك تحاولين «تدبير أمرك» بحمل صندوق ثقيل فسأرميه فوق رأسك!

حملا الأغراض إلى صندوق السيارة ثم انطلقا إلى المنزل ومكث هناك قليلاً لأنه أراد أن يبدّل ملابسه التي اتسخت. وقبل أن يغادر المنزل سارعت تسأله:

ـ انتظر.. كم ستبقى خارج المدينة؟

ـ أسبوعين.. لماذا؟

ـ أتساءل فقط ليس إلا.

ـ لا تقيمي حفلات صاخبة أثناء غيابي. أرجوك!

أقفل الباب خلفه، وتركها وحدها في منزلها الجديد.

* * *

www.elromancia.com

٣ ـ زوجتي والقطط

مرّ أسبوعان على غياب ماكس. وشعرت خلال هذه الفترة بأن هذا الزواج أنزل عن كاهلها حملاً ثقيلاً وأحست فجأة بجمال الحرية. خاصة بعدما أرسلت إلى جديها العشرين ألف جنيه، إضافة إلى مصروفها الشهري الذي أرفقته برواية غير صحيحة عن كيفية زواجها.

والآن، مع توفر الطعام عادت إلى تناول ثلاث وجبات كاملة يومياً.. كانت تستيقظ في الصباح الباكر للذهاب إلى الجامعة، إلا أنها غالباً ما كانت تعود إلى الفراش قبل التاسعة مساء وقد ساعد النوم خاصة في تحسين مظهرها. ثم لم تلبث الهالات السوداء حول عينيها أن اختفت.. وعادت إليها حيويتها وسمح لها الوقت بالعناية بمظهرها وبشعرها. أخرجت حقيبة زينتها، وأمضت أمسية كاملة تجرب ما يحلو لها من مساحيق التجميل.. ثم جرّبت كل ملابسها التي كانت قد أبعدتها، واستمعت إلى الموسيقى وغنّت لنفسها وهي تعمل في الشقة وعندما استكشفت مكان بركة السباحة قامت بتمارينها المفضلة في السباحة. كانت كزهرة تنشر بتلاتها الضعيفة، لتمتص أشعة الشمس التي طال انتظارها.

وجدت أليس الديكور كله رسمي أكثر مما تحب، لذلك عمدت إلى تغيير الشقة إلى ما يجعلها أرحب مكاناً، فأخرجت ما لديها من زخارف منمقة ووزعتها على غرفة الجلوس.. ثم اشترت من راتبها عدة غرسات وضعتها في أماكن مختلفة في الشقة، كما وضعت البسط الأفغانية فوق

الأرائك المخملية ودست بينها وسائد صغيرة، وأغطية مشغولة بالإبرة.

لم يعد ماكس في اليوم المحدد فظلت أليس تدور في الشقة طوال المساء توبّخ نفسها على شعورها بالخيبة غير أنها رغم معاتبة النفس لم تتمكن من كبح شوقها إلى رؤيته. أخيراً أوت إلى فراشها، وفي اليوم التالي كان يوم سبت ألهت نفسها بالعمل المنزلي.

صبيحة الأحد، جلست تعبث بطعام الفطور بدون أن تشعر بشهية. وفكّرت أنه ربما قرر تمديد رحلته أو شاء الإقامة مع صديقة ما في نهاية الأسبوع أو وقعت له حادثة أودت به إلى المستشفى.

تناولت كوب عصير البرتقال وخرجت إلى الشرفة، إلى حيث يمكن للشمس أن تطرد تخيلاتها القاتمة.. كانت قد أنهت لتوها إبعاد النبات المتدلي، حين سقط على كتفها ثقل ما.. فأوقعت الكوب الزجاجي من يدها والتفتت مذعورة تحاول إبعاد ما وقع على ظهرها.. حين حررت نفسها أخيراً، وجدت أن ما وقع عليها كان قطة كبيرة سمينة، فأخذت تحدق مذهولة.

ـ حسناً.. من أين أتيت؟

ماء الهر ولكنه بدا قانعاً في البقاء بين يديها.. رفعت أليس رأسها فشاهدت قطاً على قضيب سياج الشرفة التي تعلوها. كما شاهدت رجلاً ضخماً أحمر الوجه يمد يده ليمسك بالهر، ثم أطل هذا الرجل برأسه فرأى الآخر مع أليس.. فصاح:

ـ سأنزل حالاً لآخذ هذا المتوحش الصغير!

ضمت أليس الهر الصغير إلى صدرها، وتمتمت له بكلمات التدليل والتحبب ثم سارت إلى الباب الأمامي.. أما الهر فلم يهتم بوقوعه، بل نعم بالهدوء بين ذراعي أليس.

ـ مسكين أنت يا قطي من حسن حظك أنك وقعت عليّ.

تتالت سلسلة من الضربات العنيفة على الباب.. فتحته لتجد الرجل

الأحمر الوجه أمامها والهر الآخر تحت ذراعه الضخمة.

ـ سآخذ الآخر الآن! أعتذر على الإزعاج.. تعال إلى هنا أيها المتوحش!

تراجعت أليس عن يده الممدودة، وسألته:

ـ ماذا ستفعل به؟

ـ سأحمله إلى مأوى للحيوانات.. إنه إرهابي منتظم.

نظرت أليس إلى الوجه البريء المتطلع إليها:

ـ لا أصدق هذا! ماذا فعلت به؟ لقد وقع المسكين من شرفتك عندما كان يحاول الهرب منك.

ـ هذا المسكين قفز من شرفتي، ولم أفعل له شيئاً بل هو من قام بأشياء كثيرة ضدي. وها قد اكتفيت منه، والآن إن رضيت زوجتي أم لم ترضى سيذهب من هنا، وهذا أيضاً..

تحولت نظرة أليس إلى الهر الذي يحمله:

ـ أرجوك، سآخذها.. سآخذهما أتوافق؟

ـ سيدتي، أنت لا تعرفين ماذا ستجلبين على نفسك، الذي معك ينقض على كل ما هو متحرك، وهذا يقع دائماً في المتاعب.. إنهما زوج من الشياطين..

ـ رغم ذلك أريدهما، أرجوك؟

صَعُب عليه مقاومة نظرة عينيها المتوسلتين فمرر لها الهر الآخر:

ـ حسن جداً.. إنها مشكلتك.. سأحمل إليك طعامهما وبيتهما فأنا واثق أنني لن أحتاج إليهما بعد الآن. في المرة القادمة التي ترغب فيها زوجتي بحيوان أليف فلتشتر عصفوراً!

بعد نصف ساعة، كانت أليس وقطاها الجديدان يرقدون باستكانة على أرض المطبخ، أليس مع كوب عصير برتقال طازج، وقطعة توست، والقطان يغمسان وجهيهما عميقاً في قصعة من الحليب،

وكانت تقول لهما:

ـ يا للصغيرين المسكينين! كدتما تموتان جوعاً.

ثم تسلل الشك إلى نفسها فهما لا يبدوان خائفين أبداً.

سرعان ما فكرت في أن ماكس قد لا يوافق على وجودهما في منزله وفيما كانت تفكر في وسيلة لإقناعه بعدم طردهما دخل ماكس، مع مرافقه.

سارعت مندفعة لتساعد روي كاميرون على إسناد ماكس المترنح:

ـ روي! ما الأمر؟ ماذا حدث؟

ـ سيكون على ما يرام، فلنحمله إلى الفراش.

قادا ماكس إلى غرفته فرفع رأسه عن صدره وحاول أن يتوقف.

ـ هذا ليس مكتبي.. أين طاولتي؟

قال له روي متجهماً:

ـ لن ترى مكتبك قبل مدة طويلة عزيزي ماكس. تعال.. استلق هنا قبل أن تنهار ثانية.

سألته أليس: «ماذا أصابه؟»

ـ كان يعمل مدة عشرين ساعة يومياً حتى في العطل وها قد انهار من فرط الإرهاق بعدما بلغ التعب منه مبلغه. اذهبي إلى الغرفة الأخرى، سأنزع عنه ثيابه ثم أكون معك بعد دقائق.

أقفلت الباب خلفها بهدوء. إذن، ماكس أيضاً.. كان يشغل نفسه أكثر من طاقته. أخذت تذرع غرفة الجلوس بقلق، تنتظر روي الذي خرج من غرفة ماكس وعلى وجهه نظرة رضى:

ـ لقد نام، وأرجو أن ينام شهراً كاملاً.

ترافقا إلى المدخل، وسألته: «ذكرت أنه انهار.. أين حدث ذلك؟».

ـ في منزلي.. كان قد عاد لتوه من مانشستر وجاء ليراني، ولم أدرِ

www.elromancia.com

كيف انهار على الأرض. حملته إلى المستشفى وهناك قالوا إن وضعه لا يدعو للقلق وإن مشكلته الرئيسية هي الإرهاق أليس..

- ألا يجب أن يعاينه طبيبه الخاص؟

- سيقول ما قلته منذ هنيهة ولن يتلقى منه إلا شتيمة. قولي لماكس إنّ عليه البقاء في المنزل أسبوعاً كاملاً على الأقل وإن لم يفعل أدخلته بنفسي إلى المستشفى. الراحة هي ما يحتاج إليه الآن. ممنوع المشاكل والضغوطات، والأزمات والرياضة، أو قيادة السيارة أيضاً. ليس عليه إلا أن ينظر إليك، ليدرك منافع النوم المريح والطعام الجيد.. تبدين رائعة أليس. هل أصبح كل شيء على ما يرام الآن؟

وضعت يدها على إكرة الباب:

- أنا بخير، شكراً لك.. وكيف عرفت أنني لم أكن على ما يرام سابقاً؟

- من نظرة واحدة إليك. كان كل شيء مرسوماً على وجهك.

- أتظن أن ماكس يعرف هذا؟

- ماكس أعز أصدقائي.. ولكن غير مسموح لأحد حتى أنا أن أنظر إلى ما وراء قناعه.. يا له من قناع أليس. انزعيه عنه إن استطعت، تفهمين ما أعني.. سأتصل بك غداً لأطمئن على صحته..

تقدم مصفراً، متمنياً لو يبقى هنا ليرى وجه ماكس حين يستيقظ لأنه سيصاب بصدمة بدون أدنى شك. ربما لن يكون أمر هذا الزواج سيئاً عليه على أي حال.

***

هزت أليس الملعقة الخشبية الطويلة التي تحملها، لمزيد من التأثير:

- «بومبر» إن تسلقت هذه الستارة مرة أخرى رميتك من النافذة!

لكن القط الرمادي والأبيض لم يرتدع، بل اندفع بحدة، يضرب أخاه على رأسه ببراثنه الممدودة.

التقطت كرة الإسفنج التي أعطاها إياها مالكهما الأصلي ورمتها خارج باب المطبخ:

- أخرجا والعبا بهذه، ودعاني أتناول غذائي.

حالما خرج الهران، عادت إلى الطاولة لتنهي تناول حسائها وسندويشها.. إنها الوجبة الثالثة التي تتناولها منذ عودة ماكس الذي لم يخرج منذ الأمس من غرفة نومه، مع أنها سمعت صوت الماء في الحمام منذ ساعات.

دقت الساعة في غرفة الجلوس معلنة أنها الواحدة. لملمت أليس الأطباق الوسخة وغسلتها ثم جففتها بسرعة قبل الخروج للتفتيش عن الهرين. عليها الخروج لتلقي محاضرات الاثنين وفكرت في أن من المستحسن حبسهما في غرفة الغسيل لإبعادهما عن اختلاق المتاعب في غيابها.

ولكن تفتيشها الدقيق في أرجاء الشقة كلها باء بالفشل. أخيراً استسلمت، تقدمت إلى غرفة ماكس، كان الباب مفتوحاً قليلاً.. فقرعته بلطف، ثم دست رأسها بتردد إلى الداخل. كان ماكس ممدداً على ظهره فوق غطاء السرير الحريري المشعث، مرتدياً سروالاً وقميصاً غير مزرر، قدماه حافيتان، وشعره رطب. من الواضح أنه استحم وحاول ارتداء ثيابه، ولكنه لم يستطع البقاء مستيقظاً مدة طويلة..

تسللت بحذر إلى الغرفة، وعينها على ماكس النائم. ولكنها لم تجد أثراً للهرين، فراحت تلقي نظرة تحت وحول الأشياء. دخلت إلى الحمام، ثم تقدمت على رؤوس أصابع قدميها إلى الغرفة حيث السرير المزدوج، وانحنت لتفتش تحته.

- لن تجدي مالاً تحته.

كان الصوت منخفضاً ساخراً فقفزت أليس مذعورة ولكنها فقدت توازنها، ووقعت على الفراش، وفي هذا الوقت بالتحديد وقعت كرتان رماديتان من فوق ستارة النافذة القريبة، وهوتا على صدر ماكس الذي هبّ واقفاً على قدميه وهو يشتم ممسكاً أحد مهاجميه بيده بعيداً والذعر وعدم التصديق على وجهه، وهذا ما جعلها تنهار فوق السجادة من الضحك.

ـ ما هذا الشيطان؟ من أين جاء؟

تمكنت أليس من القول رغم ضحكاتها:

ـ من الستارة. آه، يا إلهي ماكسيم. عليك رؤية وجهك الآن!

وعادت تغرق في الضحك، ولكن استخدام اسمه الكامل اجتذب نظرة توتر منه. وقال فجأة يقاطعها:

ـ هل لك أن تتوقفي عن الضحك.

تقدم إليها بخطوات واسعة وأمسكها بعنف وجذبها لتقف «ماذا أصابك؟»

لقد اختفت تلك الفأرة الكئيبة التي تزوجها.. وها هو يرى امرأة ترتدي سروالاً أحمر ضيقاً وبلوزة مخططة بالأحمر والأبيض وتضع شريطاً حريرياً يبعد جناحي شعرها الأسود اللماع عن وجهها. ورأى الصحة والعافية تشعان من هذا الوجه الذي اعتلى شفتيه أحمر شفاه شاحب وظلل عينيه الخضراوين كحل أسود. بدت له بهذه الثياب وبلمسة الماكياج تلك فتاة جميلة مميزة.. وهذا ما أذهله كل الذهول.

انتفضت وهي ترد على سؤاله.

ـ أنا؟ لم يصبني شيء! أنا بخير ماكسيم أنت تؤلم ذراعي!

تركها بازدراء:

ـ أرى بوضوح كيف تنفقين ثروتك الجديدة، لا شك في أن التحول من فقيرة إلى أميرة كلفك الكثير.

نظرت إليه بدون أن تفهم «أنفق ماذا؟» صدمها معنى كلماته وخطت إليه بجنون قائلة:

ـ اعلم يا ماكسيم ريتشارد هاوتوزن، إن هذه الثياب، وهذا الماكياج، وحتى المجفف الكهربائي الذي استخدمه لشعري كان جزءاً مما أملك قبل أن تقع عيناي عليك.. واعلم أيضاً أن ما أنفقه من المال الذي تدفعه لي هو شأن من شؤوني وحدي ولا أجد ما يدفعني إلى جعله شأناً من شؤونك. أعطني قطي وشكراً لك!

أخذت «بومبر» منه فوضعته فوق كتفها ولكن ماكس قال:

ـ هذا منزلي، ولن أسمح لهذا الحيوان بمشاركتي به!

شنف «بومبر» أذنيه، والتوت شفتا أليس.. وقبل أن تتكلم، ظهر من حيث لا تدري تامي الذي قفز على قدم ماكس وبدأ بتمزيق جوربه الثمين.. حرر ماكس جوربه من مخالب القط شاتماً ثم حمله بيده وأعطاها إياه أما هي فكانت تحاول إخفاء الضحك. قال ووميض غامض يشعّ في عينيه:

ـ أرجو بكل إخلاص ألا أتعرض إلى المزيد من التهجم الوحشي من المزيد من أصدقائك.

رفعت أليس ذقنها تبعده عن لسان تامي اللاعق.

ـ لا.. لا.. إنهما اثنان فقط. الرجل الذي يسكن فوقنا أعطانيهما بالأمس.

ـ حسناً.. أعيديهما إليه.

ـ سينقلهما إلى ملجأ للحيوان. آه، أرجوك ماكسيم هل لي أن أحتفظ بهما؟ انظر إلى هذين الوجهين!

جالت نظرته العابسة على وجهها:

ـ فهمت الرسالة.. وكيف حدث وتكلمت مع الرجل؟

ـ كنت في الشرفة عندما قفز (بومبر) عليّ من فوق.. ومشكلة هذا

الهر أنه يتسلق الستائر ويقفز على الناس.

- خلصيه من هذه العادة، وإلا أخرجته من بيتي.. كم الساعة الآن؟

- تجاوزت الواحدة.

لم تستطع أليس كبح ما في نفسها، فأخذت تجول ببصرها على ماكس فإذا هو كما تذكره.. طويل أشقر، وسيم، مثير جداً.. وهذا ما أجاب عن تساؤلها بشأن الانجذاب الذي أحست به نحوه.. فسارعت تسأله لتغير دفة تفكيرها: «كيف تشعر الآن؟»

رد بخشونة: «لست بخير أبداً».

خلع قميصه وتناول قميصاً نظيفاً من الخزانة. فارتدت أليس إلى الباب وسألت:

- أرجو.. أعني، أنت لا تنوي الذهاب إلى المكتب، صحيح؟

- أهناك ما يمنعني؟

- حسناً.. قال روي..

أدارت له ظهرها عندما رأته يكمل نزع ثيابه.

- هل أهنت عفتك أليس؟ مؤسف جداً! أنت تعرفين أن بإمكانك مغادرة الغرفة متى شئت.

- سأفعل، لكنني سأنقل لك رسالة روي أولاً.. يقول إنك تعاني من إرهاق شديد وإنك بحاجة للراحة. قال: لا مكتب، لا قيادة سيارة، لا رياضة.. بل الراحة والاسترخاء فقط.

- ليس لدي الوقت لتفاهات روي.

تابعت بتصميم:

- قال: إن لم تبق في البيت أسبوعاً على الأقل فسيرميك في المستشفى.

دس ماكس ساقيه في سروال جديد، ووضع القميص تحت الخصر، وعلى وجهه تعبير قاتم.. روي قد يفعل هذا.. اللعنة عليه! مد

أصابعه يمشط شعره المشعث ليرتبه قليلاً ثم قطع الغرفة وفتح الباب، وقال بأمر أليس:

- اخرجي.. وخذي معك هذين الإرهابيين الصغيرين. ماذا تفعل هذه هنا؟

كانت نبتة خضراء كبيرة ومرتفعة تستند إلى الجدار خارج غرفة نومه. انضمت أليس إليه عند الباب. قالت ببراءة:

- لقد دخلت المنزل وحدها. وكيف من المتوقع أن أمنعها ماكسيم؟ إنها أكبر مني!

- لا تتلاعبي بي أليس، أنا أكره النباتات.. كم نبتة لدينا؟

- لم أعدها.

خطا خطوة واحدة إلى الخارج وتوقف لأنه لمح منظر غرفة جلوسه الجديد. قال معلقاً بصوت هادىء ينبىء بالخطر:

- لقد كنت مشغولة جداً أثناء غيابي، فأنت لم تغيّري مظهرك فقط بل مظهر شقتي اللعينة أيضاً.

جذب بساطاً أفغانياً عن مقعد، ورماه أمام قدميها.

- لا أريد أن يحيط بي متاع كهذا، اسمعي أنت رغم زواجنا مجرد ضيفة في منزلي ليس إلا. وبناء على هذا يمكنك حمل بسطك الأفغانية اللعينة وكل ما وضعته في غرفتك.

التقطت أليس البساط عن السجادة وطوته على ذراعيها، لأنها أدركت كم كانت جريئة ووقحة:

- ماكسيم أنا.. أعرف أنه ما كان عليّ أن أقوم بهذه التغييرات كلها بدون استشارتك. ولكنك كنت غائباً، وبما أن الشقة واسعة، وباردة.. أعتقد أنني صدقت أنني أرتب بيتي. وأنا آسفة.

نظر إليها بحدة، فما شاهده على وجهها دفعه للندم على كلماته القاسية.

www.elromancia.com

- أليس سنصل إلى اتفاق.. أليس كذلك؟ اتخذي الغرفة الثالثة غرفة راحة لك أو اتخذي أي شيء آخر تريدينه.

ترددت، ثم أجابت مكرهة:

- هذا ما حولتها إليه فعلاً. لم أظنك ستعترض، فأنت لا تستخدمها على أي حال.

تلاشى كل أثر لليونة، وسألها ساخراً:

- ولماذا أعترض؟ هل ستكون غرفتي هي التالية على لائحة التغيير؟ أم ستسمحين لي بتركها على حالها؟

- ما كنت لأمسّها ماكسيم. تبدو لي غرفة الراحة رائعة ولقد رتبت زاوية لكل منا.. و..

- لا أريد أية زاوية، ولا أريد هذه الأشياء البالية في شقتي.. فتخلصي منها!

صاحت وهي تفسح الطريق أمام طباع غاضبة لم تكن غريبة عنها:

- ما هي بأشياء بالية! إنها بسط أفغانية الصنع، ووسائد مطرزة، وأشياء أثرية، وصور ونباتات. وهي جميعها تضفي على الغرفة الدفء والراحة!

سحب نفساً عميقاً غاضباً:

- اصغي إليّ الآن.. لا أتوقع منك إلا الاعتناء بالشقة وبناء على ذلك أرفض رؤية لمسات معينة تفسد غرفة جلوسي، كما أرفض أن أجد أثاثي وقد تغير ترتيبه، كما أرفض رؤية قطط مدلاة من الستائر.

صاحت بسخط تقاطعه:

- يا لك من منافق! محظر عليّ جعل الشقة عائلية حميمة بعض الشيء ومسموح لي تنظيفها وترتيبها. يا لنبل أخلاقك!

- نظراً للمبلغ الضخم الذي أدفعه لك، هذا أقل ما يمكنك فعله لي.

- آه، لا ماكسيم. أنت تدفع لي لأبقى زوجتك مدة سنة. أما إذا

اخترت القيام بشيء آخر، فالأمر عائد لي وحدي.

- فهمت.. أنت تريدين التكاسل وإنفاق مالي فقط.. صحيح؟ ما أسهل معرفة من كان له الأفضلية في هذه الصفقة.

كان الازدراء واضحاً في صوته.. إنه يعتقد أنها ستبدد المال.. لكن على ماذا؟ على المرح والصخب؟ على القمار؟ جن جنونها، فالتقطت وسادة مطرزة ورمته بها. فأصابت اليد التي يمسك بها بكوب العصير، الذي انسكب على أصابعه وعلى السجادة.

صاحت تسأله بلهجة قتالية:

- من كان ينظف لك المنزل ماكسيم؟ لا شك في أن لديك أحد ما لأنني لا أتصورك تقوم بأعمال منزلية.

- كان لدي مدبرة منزل تأتي يومياً.

التقط منشفة صغيرة لينظف يديه.. فسألته ساخرة:

- صحيح..؟ وأعتقد أنك صرفتها من العمل عندما تزوجتني ظناً منك أن أليس الحلوة الصغيرة ستقوم بعملها؟

نظر إليها بكراهية: «أنت لست حلوة».

- لا. ولست حمقاء أيضاً.. نحن شريكان في الشقة، وسنكون شريكين في العمل. وفي الأسبوع القادم، سيكون دورك في العمل المنزلي.

رمى المنشفة على الطاولة والتفت إليها يواجهها بعينين زرقاوين كالثلج:

- لدي ما يكفيني من عمل في المكتب لذا لا تتوقعي مني تنظيف الأرض عند عودتي.

حافظت أليس على موقفها العدائي، ووضعت يديها على خصرها، ونار الغضب تلوّن وجنتيها.

- آهاه، حقاً؟ وماذا عني؟ أنا أتلقى المحاضرات طوال اليوم في

الجامعة وأبذل جهودي في الدرس لنيل علامات جيدة. وهذا يعني الدرس ساعات عديدة كل مساء، هذا عدا ساعات أخرى أمضيها في الدرس في نهايات الأسبوع.. لماذا تعتقد أن لدي الوقت لأنوب عنك بالعمل المنزلي؟

تناول سيكارة من علبة على الطاولة وأشعلها بغضب:

- حسن جداً.. لقد أكدت وجهة نظرك، سأطلب من السيدة داونهيل العودة الاثنين المقبل.

- قد يهاجمها «بومبر» وقد ترفض العودة.

سحب نفساً عميقاً من سيكارته وقال متوتراً:

- ظننتك خجولة وهادئة..

اللعنة.. لديه شيء ما يقوله لذلك الخال حين يراه مجدداً!

- أنا أدافع عن حقوقي فقط ماكسيم.

نظرت إليه لحظات لترى ما إذا كان سيتابع الجدال، وحين لم يفعل تركت المسألة تمرّ. وسرّها قبوله السريع...

أخرجت من جيبها شيكاً مطوياً، وانضمت إليه قرب النافذة، وقد تلاشى كل غضبها وعادت إلى طبيعتها الوديعة:

- على فكرة.. هاك الثلاثمئة جنيه التي أدين بها لك. أردت تسليمك إياها قبل خروجي إلى الجامعة.

رد باختصار حتى بدون أن ينظر إلى الشيك:

- فليبق معك.

- لا أريده.. إنه لك.

- أليس، إن أخذته مزقته، فلماذا لا توفرين عليّ هذا وتمزقينه بنفسك؟

- لكنني مدينة لك بالمال ماكسيم.

انتزع الشيك من يدها وقطعه نصفين:

- فلتكن هذه نهاية المسألة.

- ماكسيم.

- انظري إلى ما حولك أليس.. أترينني بحاجة إلى المال؟

- لا.. لكنني لا أعطيك إياه لأنك بحاجة إليه، بل لأنني مدينة لك به.

- آه، طبعاً، تعطيني ثلاثمئة لتعود إليك خمسة آلاف في مطلع الشهر المقبل.. لماذا إذن تعطيني إياه؟

تنهدت أليس.. يا إلهي ما أعنده!.. جلست على مقعد مرتفع قرب الطاولة، ووضعت مرفقيها عليها.. إنها تحس بارتياح كامل لوجودها هنا معه بدلاً من أن تكون في أي مكان آخر وتكره أن تخرج.

- روي لم يقل هذا مباشرة، ولكنني لا أعتقده يرحب بخروجك من المنزل.

صاح بها: «لا تتحكمي بحياتي أليس»!

- كنت فقط أشير إلى..

- لا تشيري إلى شيء.

- ماكسيم.. إذا كانت شركتك تعاني من متاعب مالية فلماذا لا تبيع الشقة والسيارة وجهاز الستريو لجمع المزيد من المال فأنا لا أراك ممن يقترضون المال إلا إذا كان ذلك ملاذهم الأخير.

سألها بصوت منخفض: «لماذا تناديني ماكسيم؟».

- لماذا.. أفعل.. ماذا؟

- الجميع يناديني ماكس. فلماذا لا تحذين حذوهم؟

- لا أدري.. لقد استخدم مأمور الزواج اسمك الكامل في المراسم، فاعتقدت أن علي الالتزام به.. بل لم أعِ حتى أنني أناديك به. أنا آسفة.

- لا تأسفي. منذ عشر سنوات آمن رجل عجوز بمواهبي، فأقرضني

مبلغاً ضخماً من المال لأبدأ عملي. وبعد خمس سنوات ضاعف المبلغ لأوسّع أعمالي وكان شرطه الوحيد ألا أرد المبلغ إلا في العيد العاشر على تأسيس شركة هاوتورن.

ـ وماذا حدث؟

أشعل سيكارة، وأخذ يتفرس برأسها الملتهب:

ـ ونجحت.. ولكن مال براد رايلي الذي يبلغ خمسمئة ألف جنيه سُرق. لقد اختلسه رئيس محاسبتي قبل أسبوع من موعد الدفع. وللأسف أصبحت اتفاقيتي مع براد، بين يدي ابنه ويليام.

شهقت أليس بخوف:

ـ آه، ماكسيم! لم يبق أمامك إذن سوى أسبوع لجمع المبلغ.. يا إلهي كنت يائساً..

نظر إليها ببرود: «يائساً إلى درجة الزواج بك».

ـ ليس إلى الزواج بي بل إلى الزواج بأية امرأة لأنك ما كنت لتحصل على القرض من خالك إلا بعد الزواج.

تفرس في وجهها ثم في قدها الرشيق، ثم عاد إلى وجهها، وقال متمتماً:

ـ هذا ما كنت أظنه.. لكن ربما كنت مخطئاً.

وما المانع؟ لماذا لا يتمتع بزوجة ما دام لديه واحدة.

دفعتها كلماته ولهجته الحاملتين اقتراحاً ما، إلى الإحساس بماهية علاقتهما. فلم يعد الواقف أمامها ذلك الغريب البعيد، الذي تشاطره السكن بل هو زوجها. خافت منه فتراجعت نفسياً، تسعى إلى الابتعاد. فهناك سبب واحد يبرر اهتمامه بها، وهي لا تنوي أن تسليه في غرفة النوم، مهما كانت رغباتها. وسألت وهي تحاول أن تكون عفوية:

ـ هل وجدت الشرطة دليلاً عن مكان وجود المحاسب؟

ـ لا. يقولون إن لديهم بعض الدلائل غير الملموسة.

ـ ماكسيم يزعجني دخان سيكارتك.

ـ حقاً؟

ـ رجاء لا تدخل غرفة الراحة. لا أطيق رائحة الدخان

مد يده ليستعيد سيكارته من فوق المنفضة:

ـ سأدخن أينما شئت فتذكري أن هذا هو بيتي.

ـ وكيف أنسى وأنت لا تنفك عن تذكيري به.

دقت ساعة الحائط فصاحت:

ـ يا إلهي.. سأتأخر.

ثم هرعت إلى غرفتها لتأخذ كتبها ومعطفها.

حين عادت أليس في المساء إلى الشقة، وجدتها هادئة باردة كما عهدتها كل يوم منذ سكنت فيها. شعرت بالتوتر، فلا يمكن أن يتركها ماكس وحدها ثانية. من المفترض أن يبقى في المنزل طلباً للراحة. عندما خرجت إلى جامعتها كانت تعرف أنها ستجد شخصاً ما حين تعود إلى المنزل في المساء.. والآن..

علقت معطفها في خزانة المدخل، وتقدمت إلى السلم. ربما عاد إلى النوم ثانية.. ربما خرج ليشتري سكائر.. ربما..

كان ممدداً على الأريكة يغط في نوم عميق، وفوق تجويف عنقه أحد الهرين والآخر على معدته.. ابتسمت أليس. إنه في المنزل وسيبقى.

انطلقت بفرح تحضر في المطبخ العشاء وحين كاد ينضج الطعام عادت إلى غرفة الجلوس لتوقظ زوجها. ركعت تهز كتفه بلطف: «ماكسيم».

استفاق (بومبر) متثائباً، ثم ساعدها بأن مد قائمته إلى أنف ماكس.. فهمست:

ـ بومبر.. لا تفعل هذا.. إنه ليس مسروراً بوجودك.

نقلت بومبر وتامي النائم إلى الأرض، ثم عادت إلى ماكس الذي

www.elromancia.com

كانت عيناه مفتوحتين تحدقان إليها بنظرات غير وجلة. مد يده يلفها على مؤخرة عنقها بقوة، وشدها إليه.. سأل بصوت متوحش منخفض:

ـ لماذا تبدين مختلفة عن ذي قبل؟

كانت أليس قد وقعت فوق صدره حين شدها إليه، وظلت للحظات طويلة غير قادرة على الحراك مقطوعة الأنفاس بسبب الأحاسيس التي تدفقت إليها. كان صدره قاسياً وفمه مشدوداً وغير مبتسم ولكنه بدا جذاباً. ارتدت عنه تتمسك بجنون بتحفظها، تقول وهي تحاول تهدئة ضربات قلبها الصاخبة.

ـ العشاء جاهز ماكسيم. أتريد تناول الطعام؟

هبت واقفة تريد الابتعاد عنه ووقف هو أيضاً.

ـ أعتقد أن عليّ بعد تناول الطعام غسل الصحون وإلا أطلقت الهرين ورائي.

أثارت عيناه اللامعتان روح المرح فيها:

ـ في الواقع، كنت أخطط إلى أن يكونا دعماً لي، مع أنني أفضل أن تقنعك طبيعتك الطيبة.

ـ ليس لدي طبيعة طيبة.. فلماذا لا تحاولين إقناعي بنفسك؟

تلاشت ابتسامة أليس، أيحاول مغازلتها؟ مستحيل! إنه لا يحبها..

ردت باستعجال تغير دفة الحديث:

ـ لا أعرف ما تحب، لذا حضرت اللحم المشوي.. فهل تفضل شيئاً آخر.

ـ أحب الستيك المشوي.. هيا إلى الطعام.

خلال وجبة الطعام، كان حديثهما يتناول دائرة واسعة من المواضيع العامة وعندما كادا ينتهيان من تناول الحلوى قال ماكس مشيراً إلى غرفة النوم الثالثة.

ـ على ما أذكر أن الأغراض التي ساعدتك في جلبها إلى هنا، لم تكن

تشمل طاولتين وأريكة. من أين جئت بكل هذا الأثاث؟

ردت بعد تفكير:

ـ أرسلتها لي جدتي.

ـ أتعرف أنك تزوجت إذن؟

ـ أجل.

ـ أتعرف لماذا تزوجت؟

ـ لا، لا تعرف السبب الحقيقي..

ـ وماذا ستقولين لهم بعد سنة؟ هل ستقولين انك كنت مخطئة بزواجك السريع؟

ردت بتعاسة: «نعم شيء من هذا القبيل».

ـ لماذا تزوجتني أليس؟

جاء السؤال بارداً هامساً، فتحركت بغير ارتياح:

ـ كنت بحاجة إلى المال فذوقي لا يرضيه إلا المال الكثير.

ـ أجل.. أرى كل هذه الحلي متدلية من النباتات.

كانت لهجته ساخرة.. فسارعت أليس إلى الوقوف خوفاً من أن يعرف الحقيقة.. فلو عرف مدى يأسها إلى المال لوقعت فريسة له المدة المتبقية من زواجهما.

ـ من الأفضل أن أقدم لبومبر وتامي العشاء، وبعد ذلك علي الشروع بالدرس.

ـ إنها أعذار جيدة للتهرب.

تركت أليس المطبخ وتفكيرها مشوش فماكس كان ينتقل ما بين الغضب المكبوت وما بين الغيظ والسخرية. ولم تكن تعرف ما قد تفهم منهما.

كانت في غرفة الراحة حين دخل بعد ساعة.. ارتمى على الأريكة ثم سألها وهو يفتح كتاباً:

- أتمانعين إن جلست هنا لأقرأ؟ وجدت قصة مثيرة أخشى أن تكون مخيفة لذا لا أريد البقاء وحيداً.

لم تستطع منع الابتسام:

- لا.. لا أعترض. لكن أرجو ألا ترى الكوابيس في منامك بسببها.

- إن حدث هذا اضطررتِ أنت إلى المجيء لهدهدتي حتى أنام.

إنه يغازلها، وهذه المعرفة شتتت تركيزها. لكن عندما اعتادت على وجوده تلاشى توترها، وران بينهما صمت وسكون.

- كيف تسير القصة؟

- اكتشف البطل لتوه أن شخصاً ما يراقبه من الخزانة.

نظرت بخوف إلى الخزانة وراءه:

- ماكسيم لا تقل أشياء كهذه!

- لا تقلقي أليس.. سيحمينا الهران.

أخفض كتابه ليكلم بومبر القابع على ذراع المقعد.

- أليس متوحشاً؟

- ماكسيم.. خذ بومبر إذا شئت، وسأحتفظ أنا بتامي.

رمى ماكس كتابه وأنزل قدميه إلى الأرض.

- أنت محتالة.. تقسمين العمل حتى في تنظيف مكان نوم القطين. أعتقد أنك في المرحلة القادمة ستقترحين تقاسم الأدوار في خبز البسكويت والحلوى.

- ولِمَ لا؟

- فلأتعلم أولاً تنظيف مهد بومبر.. قبل أن أتعلم الخبز.

توقف هنيهة ثم أضاف:

- ماذا تقرئين؟ أعتقد أن ما تقومين به معقد نظراً للمراجع الكثيرة المكدسة حولك.

ارتشفت قهوتها: «أكتب تقريراً عن فوائد الكمبيوتر».

- أهذا ما تدرسين.. الكمبيوتر؟

- وهل في الأمر غرابة؟

- بطريقة ما.. لا تبدين من هذا الصنف.

- ربما عليّ أن أرجع شعري إلى الوراء وأعقصه وأرتدي نظارة سميكة.

- بل ربما عليّ أن أغير طريقة تفكيري.

- في أي سنة أنت الآن؟

- الأخيرة..

- يبدو أن عقلك راجح.

- وهل هذا أمر عجيب؟

- كل ما يتعلق بك عجيب. ماذا ستفعلين بعد التخرج؟

- أمضيت عطلات الصيف الأربع الأخيرة في العمل في مؤسسة تسويق كبيرة، وكان حظي عظيماً لأنني تلقيت عرضاً أن أعمل معهم بشكل دائم بعد التخرج، يقول البروفسور برنستاين، مرشدي في الجامعة إن لديه معارف سيستخدمهم لإيجاد فرص أخرى لي.. لذلك حرصت على نيل علامات مرتفعة.

رد بإعجاب: «تبدين عازمة النية».

- طبعاً أنا عازمة النية فليس هناك ما هو أهم من مستقبلي العملي.

- وماذا عن صديقك؟ لا شك أن عندك صديقاً!

- قررت أن أترك الرومانسية وشأنها لأنها ستقف حائلاً في طريق تركيزي.

- يسعدني أنك تدركين ذلك، فلديك إمكانية هائلة للنجاح وسيكون من المؤسف أن يبعدك عن هدفك صديق أو حبيب.

- لا تخف.. لقد تعلمت درسي.. فقد تلقيت عرضاً للعمل في اسكتلندا منذ سنتين ورفضته لأن صديقاً لم يرِد أن أسافر. وفي النهاية

www.elromancia.com

انفصلنا . . وها أنا الآن أبتعد قدر استطاعتي عن العلاقات . . ولكنني أرجو ألا يفقدني زواجي هذا، ولو مؤقتاً، فرصة أخرى .

ـ وإذا سنحت لك فرصة مماثلة قبل أيلول القادم، فماذا ستفعلين؟

ـ لقد وقعت اتفاقاً وسأحترم توقيعي .

نظر إليها وقتاً طويلاً، ثم راح يسألها عن دراستها وطبيعتها ومضى الوقت حتى حل منتصف الليل وعندها تنبهت أليس للأمر فقالت :

ـ آه، يا الله . . كان عليّ أن أكون نائمة . . لدي محاضرة في الثامنة صباحاً .

هبت عن الأريكة بسرعة .

ـ آسف . لم أشأ إبقاءك مستيقظة .

ـ لقد استمتعت بنقاشنا، خاصة وقد أعطيتني أفكاراً رائعة . شكراً لك .

ـ على الرحب والسعة يسرني أن أجد من يصغي إليّ .

وضعت أليس القطين في فراشهما الدافىء، أما ماكس فغسل فنجاني القهوة اللذين احتسياهما خلال السهرة ثم تركا المطبخ وتوقفا في الردهة العريضة حيث قال ماكس :

ـ غداً دوري بطبخ العشاء . . أتحبين اليخنة؟

ـ مع الفطير المقلي؟

ـ سأحاول من أجلك فقط، ولكن لا تتوقعي مني الكثير متى ستعودين إلى البيت؟

ـ حوالي الرابعة والنصف أو الخامسة .

جذبت بسمته اهتمامها إلى خطوط فمه الصارمة . وبدا لها قادراً على إغواء امرأة بمجرد قبلة عابرة . غيرت مجرى أفكارها الخائنة :

ـ حسناً . عمت مساء ماكسيم أحلاماً هنيئة .

ـ شكراً لك . عمت مساء .

هيأت أليس نفسها للنوم وأفكارها مشوشة لقد أظهر لها الليلة ماكس مرحه وصداقته العادية وهذا ما جعلها ترزح تحت خطر الوقوع في سحره .

أطفأت المصباح قرب السرير، وقررت أن أفضل طريقة لتقيها جاذبيته ومغبة الوقوع في ما لا تحمد عقباه هي التركيز على دراستها .

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ خارج الحدود

مر يوما الثلاثاء والأربعاء بسهولة أكثر من يوم الاثنين. فماكس قنع على ما يظهر بلعب أنواع مختلفة من الألعاب المنزلية، كالمشاركة في الطبخ والتنظيف، ومناقشة الدروس مع أليس. . وقد تلقى الدرس الأول في الخبيز. واختار أن يصنع كعكة من الحلوى. وبدت الكعكة مقبولة حين أخرجها من الفرن ورغم هذا أصرت أليس أن يجربها الهران أولاً من باب الحذر.

كان كل شيء يجري على ما يرام ولكن ظلت هناك نقطة صراع وحيدة بينهما. . استخدمت أليس أسلوب الرجاء والمنطق والتنازل، ولكن ماكس رفض التراجع عن عادة التدخين في غرفة الراحة. أخيراً جمعت كتبها، وانسحبت من الغرفة العابقة بالدخان. بعد بضع ساعات من الوحدة استسلم ماكس ساخطاً، ومنذ ذلك الوقت تشاركا الغرفة بهدوء ولكنها لم تفكر في أسباب تصرفات زوجها الودود المفاجئة. بل تقبلت تصرفه على أنه تغيير مرحب به. وبفضل الأحاديث الصارمة مع نفسها وكبح جماح مشاعرها راحت تنظر إلى ماكس على أنه شريك في السكن ليس إلا، وكانت تجد في هذا علاجاً لميلها العاطفي إليه.

بعد ظهر يوم الخميس جلبت معها علبة دهان وفرشاة وأجبرت ماكس على مساعدتها في طلي غرفة الغسيل بلون أزرق فاتح. وما إن انتهى من طلي الجدران والسقف، حتى نظف نفسه وباشر بإعداد العشاء تاركاً أليس تطلي الرفوف الخشبية وحدها. كانت مشغولة بالزوايا

الصعبة حين رن جرس الباب. .

ـ ماكسيم، ألن تفتح الباب للقادم؟

ولكن الصمت ساد المطبخ، فوضعت الفرشاة من يدها وخرجت إلى المدخل، رافعة نفسها على أطراف أصابعها لتنظر من المنظار، ثم قالت لنفسها: آه، أمر رائع! وها أنا أبدو كتلة متسخة! فتحت الباب تبتسم بأدب لامرأة ترتدي الثياب الفاخرة.

ـ هل لي أن أساعدك؟

ضاقت نظرة المرأة بغطرسة وقحة عليها، تنظر إلى الجينز الضيق الشاحب اللون، وإلى الكنزة الرمادية الملطخة بالطلاء وإلى الوشاح القطني الذي يستر شعرها. وقالت المرأة باشمئزاز:

ـ لا شك في أنك الزوجة الصغيرة. . جئت لرؤية ماكس. هل هو هنا؟

ـ أجل. إنه هنا أرجو أن تدخلي.

تراجعت أليس تتأمل الزائرة الجميلة. . ثم سحبت الوشاح عن رأسها وقالت:

ـ إنه يحضر العشاء. . سأخبره حالاً.

ـ يا فتاتي العزيزة. لا حاجة لك إلى ذلك، أعرف طريقي.

هزّت أليس كتفيها بغير اكتراث ثم دخلت من باب المطبخ لتعود إلى غرفة الغسيل، وفي هذا الوقت كان ماكس يقفل لتوه باب الشرفة، والقطان تحت ذراعيه. . فسألته:

ـ هل خرجا مجدداً؟ وهل أتعباك في تعقبهما؟

ـ حوالي الدقيقتين. . أصبحت بارعاً في الإمساك بهذين القطين المشاغبين.

وضعهما على الأرض ثم قال:

ـ سمعت جرس الباب. . من القادم؟

ـ زائرة لك . . هي الآن على الأرجح في غرفة نومك .

دست المنديل في جيبها الخلفي ووقفت على كرسي مرتفع . نظر إليها بثبات للحظات قبل أن يتقدم ليتفقد الطعام .

ـ وماذا تفعل في غرفتي؟

ـ قالت ، إنها تعرف طريقها .

قال وطيف ابتسامة على شفتيه :

ـ ربما هي مدبرة منزلي السابقة .

ـ لا ماكسيم . لا أظنها المدبرة . إلا إذا كانت مدبرة منزلك تأتي مرتدية فستاناً حريرياً .

ـ فستاناً حريرياً؟ هكذا إذن؟ يبدو الأمر رهيباً . . تذوقي هذا .

وضع يده تحت الملعقة التي يمدها فذاقت صلصة الكاري بحذر ، لأنها تعلمت أخذ الحيطة والحذر من وجباته . وما كادت تبتلع اللقمة حتى طفقت تلوّح بيدها أمام فمها في محاولة عقيمة لتخفيف النار التي اندلعت في حنجرتها . وقالت شاهقة : «ماكس . . إنه حار جداً!» .

جلب إليها كوب الماء ورفعه إلى فمها وعيناه تتراقصان :

ـ بالطبع هو حار . . كان يغلي .

أطبقت يدها فوق يده الحاملة الكوب ونهلت نصف ما فيه من ماء قبل أن تتركه :

ـ لم أقصد بحارة أنها ساخنة بل قصدت أن طعمها حارّ . . هلا توقفت عن الضحك وإلا . .

ـ ماكس ألم تخبرك الزوجة الصغيرة أنني هنا؟

قطع الصوت الحاد كالسوط عليهما مرحهما . . ولكن ماكس رفع غطاء وعاء طنجرة أخرى بدون اهتمام وقال :

ـ أخبرتني الزوجة الصغيرة أن عندي زائرة . . ولكن بما أنني لم أرَ أحداً ، اعتقدت أنها مخطئة . . ثم أن اسمها أليس ، فتذكري الاسم جيداً

بيبيتا .

تقدمت المرأة إلى الأمام بطريقة مغناج .

ـ بكل تأكيد حبيبي ، أرى بوضوح أنها أفسدت نظام شقتك . . تلك البسط الأفغانية حبيبي ، والقطع الأثرية المنتشرة في المكان . . إنها بدائية وخالية من الذوق!

ماذا تقصد من وراء هذه المعلومة الصغيرة؟ نظرت أليس إلى ماكس . أهي حقاً صديقته؟

قال لها وهو يخفف الحرارة تحت وعاء الأرز :

ـ عانت أليس كثيراً كذلك في إعادة ترتيبها . . وأنا أجد هذا التغيير تحسناً كبيراً . والآن فهمت سبب عدم رغبتي في العودة إلى المنزل من قبل .

قالت بيبيتا بحدة :

ـ أتقول ذلك لأنك لا تريد أن تجرح شعورها . انظر اشترت النبتات التي تكرهها .

ـ إنها كراهية نابعة من عدم تعودي عليها . كما أن القطين ينظران إليها على أنها غابتهما الخاصة ، لذلك من الطبيعي ألا أستطيع الاستغناء عنها .

ـ قطط؟ ألديك قطط؟ ماكس ستفسد الأثاث!

بدا الرعب الحقيقي على المرأة ولكن أليس سارعت للنفي :

ـ لا . . لن تفسده . إنها تركض فوق الوسائد والأثاث بدون أن تخدشها . ماكسيم صلصة الكاري تحترق!

أزال الوعاء بسرعة عن النار ثم أتمّ ما بدأت به أليس :

ـ أجل . لكل منا هر . هري يسقط كالقذيفة على أي شيء . من الأفضل أن تنتبهي لظهرك بيبيتا .

نظرت إلى الخلف بسرعة فاغتنم ماكس الفرصة ليبتسم لأليس .

واجهته بيبيتا مرة أخرى بابتسامة:

- قطط، نباتات، بسط.. لم تكن متعلقاً بمنزلك من قبل ماكس.

- لم يكن عندي زوجة من قبل.

أجفلت الملاحظة العفوية كُلاً من بيبيتا وأليس. قالت بيبيتا:

- أرجو أن تعذرينا.. أود محادثة ماكس على انفراد.

- آسف. ستبقى أليس فهي الآن حقل تجاربي..

فتح البراد خلفه وأخذ يخرج مكونات السلطة.

- على فكرة يا أليس.. عرفت قبل الآن أن زائرتنا أهملت تقديم نفسها.. إنها بيبيتا ميتشل، أمينة صندوق شركتي.

تجاهلت بيبيتا رد أليس المؤدب، ووجهت الكلام إلى ماكس.

- ماكس أود مناقشة مشكلة تتعلق بالعمل. أنا واثقة أن.. أنا واثقة أن أليس ستجد النقاش مملاً.

- إنها في سنتها النهائية للحصول على تقدير مشرّف من الجامعة في قسم علوم الكومبيوتر.. ولا أظنها ستجد نقاشنا مملاً أبداً.

- إن هذا لمثير للاهتمام.

- ألم أقل لك هاتفياً إن عليك التوجه إلى هامش ولورين عندما تواجهك مشكلة ما أثناء غيابي عن المكتب؟ ألم أقل لك أيضاً أن تتصلي بي في حال عجزهما عن حل المشكلة؟

- عظيم. سأذكر المشكلة أمام هامش ولكن ألن تعود إلى المكتب يوم الاثنين؟ أم أنك ما زلت مريضاً؟

التقت عيناه عينا أليس للحظات:

- آه، أنا أتحسن ببطء، ولكن أجل سأعود إلى المكتب يوم الاثنين.. فالكثير من الراحة قد يفسدني.. والآن، أرى أنك ترتدين ملابساً خاصة بالخروج، ونحن لا نريد أن نؤخرك.

عضت بيبيتا على شفتها:

- كنت آمل أن تصطحبني إلى العشاء فالمسرح.. ألست ضجراً من البقاء في المنزل كل ليلة؟

- أبداً.. لدي أشياء كثيرة أقوم بها.

وقف ماكس وراء أليس ووضع ذراعيه بعفوية حول كتفيها فحاولت الابتعاد، ولكن حين اشتدت قبضته، استرخت واستندت إلى صدره وهي تمسك بعضلات ساعديه غير قادرة أو راغبة في قطع هذا التواصل الجسدي النادر بينهما، وأخذت أنفاسه تحرك شعرها وهو يتكلم.

تابع دون اكتراث:

- خذي الليلة مثلاً: بعدما أنهينا طلي غرفة الغسيل، سنتناول العشاء، ونلعب مباراة ثأر في المنوبولي.. بعدها أفكر في طهي بعض البسكويت بالشوكولا، وهذا يعني أنني لن أنتهي قبل الحادية عشرة، أي وقت النوم.

صاحت بيبيتا بسخط بسبب تقاربهما الحميم:

- وهل تتشاطران سريراً واحداً؟

أحست أليس بتصلب ماكس. ففتحت فمها لتنكر شيئاً أصاب خيالها المكبوت، ولكن ماكس كان السبّاق.

- هلا شرحت لي بيبيتا، كيف تزجين أنفك في أمر كهذا؟

بدت وكأنها تراجعت أميالاً، فضحكت ضحكة جوفاء:

- آسفة جداً. كان سؤالاً سخيفاً.. من الطبيعي أنكما لا..

تلاشت الكلمات من شفتيها وهي ترى أمامها رأس أليس المنحني، وذراعي ماكس الملتفتين حول كتفيها..

- حسناً.. ما دمت لا تشعر برغبة في السهر فسأخرج وسأجد طريقي وحدي.

انتظر ماكس حتى سمع صوت إقفال الباب، ثم طبع قبلة على رأس أليس.

ـ لا أظنها ستطلب مني بعد الآن اصطحابها إلى سهرة ما.

أسقط يديه عن كتفيها، ولكن لينزلها عن المقعد المرتفع ويسندها إلى جسده القوي.

ـ لا تنزعجي مما قالته أليس.

ولكن بيبيتا كانت آخر ما يزعج بال أليس.. سحبت نفسها من بين ذراعيه، وعادت إلى العمل. كان يستغلها ليحرر نفسه من صديقة لا يريدها. لحق ماكس بها، ووقف مسنداً كتفه إلى حافة الباب عاقداً ذراعيه على صدره:

ـ حسناً ما خطبك. لماذا أراك غاضبة الآن؟

ـ غاضبة من تصرفاتك. لقد وضعت ما ستفعله من خبيز ولعب مونوبولي بشكل مثير.

ـ وهل أظهرته مثيراً؟

ضربت فرشاتها على صينية الدهان بدون أن تجيبه. فجأة أصبح قربها:

ـ آه، المعاملة الصامتة إنها مثيرة حقاً..

مد يده يمسك ذقنها ويدير وجهها إليه:

ـ إصغي إليّ أليس.. أنا أخبز البسكويت لأنني أرغب في هذا وأطلي الجدران، وأطعم القطط وأطبخ الطعام وأغسل الصحون لأنني أريد هذا.. وألعب المونوبولي معك لأنني أستمتع بصحبتك.

أدفأت ابتسامة عينيه:

ـ إضافة إلى هذا، أنا مصمم على هزيمتك في هذه اللعبة ولو لمرة واحدة.

قست قوة مقاومتها ضد ابتسامته المدمرة: «وماذا عن الأمر الآخر».

ـ وما هو؟

ـ تعرف جيداً ما هو: التفاف ذراعيك حول قدي.

ـ وهل أزعجك هذا؟

ـ أجل.. فأنت..

تقدم إليها أكثر، حتى أصبح فمه على قيد أنملة منها.

ـ وهل يزعجك هذا؟

راح رأسه ينخفض إليها.. فارتدت إلى الوراء، خافقة القلب، إنه يتجاوز القواعد التي حددتها له، ويطلق أجراس الإنذار في رأسها. فحاولت تغيير الموضوع:

ـ لم تكن مؤدباً مع بيبيتا.

ـ لا ينفع الأدب معها.

ـ لماذا تركتها تظن أننا... أننا نتشاطر سريراً واحداً.

مرر أصبعه على فمها الناعم:

ـ لا أدري. ربما هي أمنيات آتمناها.

ارتدت أليس، والرغبة ترجف أوصالها. آه يا إلهي، إنها ترغب حقاً فيه، إنها تريد أن يعانقها.. إن له جاذبية كبيرة.. ولكنها لم تلبث أن تخلت عن الموضوع.. فالموقف مشحون، وتحتاج إلى فرصة للتفكير.

ـ هل العشاء جاهز؟ أكاد أموت جوعاً!

استقام ماكس: «وأنا كذلك».

أحست أنه لا يشير إلى الجوع الذي تذكره بل إلى جوع آخر.

في الصباح التالي، استيقظت أليس وفي قلبها إحساس بالفراغ. اليوم هو عيد ميلادها ولكنها لا تشعر برغبة في الاحتفال. جلست على المائدة في المطبخ وقتاً طويلاً حتى برد فطورها.

رن جرس الهاتف فهبت لترد عليه قبل أن يوقظ ماكس. كان الصوت في الناحية الأخرى مرتجفاً، ولكن فيه تصميم على المرح:

ـ مرحباً فتاة العيد. كيف تشعرين وأنت تبدئين عامك الحادي والعشرين؟

ـ شاني؟

جلست أليس ببطء غير قادرة على التصديق بأن شقيقتها تتحدث إليها عبر الهاتف.

ـ أنا الوحيدة... أتصل بك لأتمنى لك عيد ميلاد سعيد.

قالت أليس وعيناها مغرورقتان بالدموع:

ـ أوه. شاني كم اشتقت إليك. كيف حالك.. هل تلقيت البطاقة التي أرسلتها الأسبوع الماضي؟

ـ أجل تلقيتها وتلقيت خطابك ذا الصفحات العشر التي أسهبت فيها في الحديث عن الجامعة ولكنك لم تذكري شيئاً عن الرجل الذي قالت جدتي إنك تزوجته.. فلماذا؟

ـ حسناً.. أعتقد أن البقية الباقية آتية في رسالة أخرى.

ـ لا تحاولي هذا معي أليس!

ما زال يحمل صوت شقيقتها في طياته السلطة:

ـ فعلت هذا من أجلنا. أليس كذلك؟ ما إن سمعت بالمبلغ الكبير الذي أرسلته حتى عرفت.

ردت متلعثمة: «اضطررت إلى ذلك شاني، إنها الطريقة الوحيدة لمساعدتكم.. كل ذلك المال..

ـ أعرف. آه أليس أراني عاجزة، أقضي ليلي ونهاري في المستشفى، وأكره ما أنا فيه، ولا أستطيع حتى العناية بنفسي، هذا دون التفكير في ابنتي..

ـ يتدبر جدانا أمرها شاني. إبذلي جهدك فقط لتتحسني.

ـ أنت على حق.

ـ أختي يجب أن أنهي المكالمة لأن علي الخروج إلى الجامعة. شكراً لك لهذه المخابرة شاني.. لقد ساعدتني كثيراً.

ـ وساعدتني أنا أيضاً. هل ستخرجين للاحتفال الليلة؟

ـ دعاني بعض الأصدقاء إلى العشاء.. اعتني بنفسك شاني وعانقي غريتا نيابة عني.

ـ سأفعل حبيبتي.

كانت أليس تشعر بأنها أفضل حالاً بعدما سمعت صوت أختها. توجهت إلى غرفتها فتأملت محتويات خزانة ملابسها.. لماذا لا ترتدي ثوباً جديداً هذه الليلة؟ إنه عيد ميلادها الحادي والعشرين، وما زال معها بعض المال من آخر راتبين تقاضتهما. اختارت فستاناً جديداً خاصاً لرفع معنوياتها. وربما للتأثير في ماكس.. هزت رأسها بعنف، لتصرف عنها الفكرة.

بعد انتهاء المحاضرات توجهت إلى السوق لتتبضع وكان أن وصلت إلى المنزل في الخامسة، راضية بما اشترته.. كان ماكس يصعد السلم والسيكارة تتدلى من فمه، وكتاب فن الطبخ بين يديه.. منذ ليلة أمس وهي تجد نفسها عاجزة عن اعتباره مجرد شريك في السكن. لقد همَّ بالأمس بتقبيلها وهذا ما جعل كيانها ينقلب رأساً على عقب، ولكنها ليلة البارحة قررت ألا تسمح له بتدمير حياتها.

ـ مرحباً أليس ما رأيك بشرائح اللحم مع الصلصة اليوم؟

نظرت إليه بوجل: «آه، ماكسيم! ألم أخبرك بأني خارجة؟».

ـ لا.. لا تقولي إنه موعد كبير؟

ـ لا بل دعاني بعض الأصدقاء للعشاء.

انتظرت بصمت آملة أن يتذكر عيد ميلادها.. فقد رأى التاريخ في قسيمة الزواج. ولكنه أغلق كتاب الطبخ، وأزال السيكارة من بين شفتيه، ليقول ببرود:

ـ حسناً.. استمتعي بوقتك.. سأهتم بإطعام القطين.

راقبته أليس بإحباط وهو يتجه إلى المطبخ.. كانت على استعداد لتمضية هذه الليلة معه في المنزل إن طلب منها ذلك.

استعدت للحفلة. استحمت ثم مشطت شعرها حتىٰ أصبح لامعاً، وبعد ذلك وضعت الماكياج بحذر تبرز عينيها الخضراوين. كانت منذ أن رأت الفستان في الواجهة، قد عرفت أنه ما تبحث عنه.. كانت تنورته الطويلة الحريرية تتموج حول ساقيها وكان الجزء العلوي يتعلق بخفة ببشرة كتفيها العاريتين بواسطة شريط رفيع.

ابتعدت عن المرآة وارتدت حذاءها الذهبي الجديد العالي الكعبين، ووضعت قرطاً صغيراً ذهبياً في أذنيها، وقلباً ذهبياً في قلادة ذهبية.

حين غادرت الغرفة لم تجد أثراً لماكس، فارتدت معطفها الصوفي، وزررته.. ثم تأملت المطبخ، فغرفة الجلوس صامتة. هل خرج من الشقة؟ ولكن وميض سيكاره عرفها بمكانه: كان يقف على الشرفة، يراقب فلول النهار ففتحت الباب لتكلمه آملة حتى آخر لحظة أن يتذكر أن اليوم عيد ميلادها.

ـ أنا خارجة الآن ماكسيم.

لم يحرك رأسه، ولا تغيرت تعابير وجهه: «عظيم، أراك لاحقاً».

يبدو أنه غير مهتم ببقائها أو بذهابها. خرجت أليس كئيبة لتحتفل.

سمع ماكس صوت إقفال الباب، فرمى سيكارته في الهواء.. لقد قال لتشارلز إنه ليس ممن يحبون الزواج، وكان يعني ما قاله حقاً. ولهذا لن تقنعه عينان خضراوان ودودتان جميلتان وذكيتان بالعكس.. ولكنه الآن غير مقتنع بحياته، وإن كان يجد أنه يحب الأمسيات التي يمضيها في المنزل معها وهو يشاركها العمل والطبخ؟ وماذا لو شعر برغبة في أن تكون أليس أماً رائعة لأطفال يدّعي أنه لا يريدهم؟ كل هذا لا يعني شيئاً.. إنه من البشر، وهو ليس منيعاً من الوقوع في الغلط. لا، لا، إنه غير مهتم بهذا الزواج أبداً. فبعد بضعة أيام سيشعر بالسأم من هذا الوضع الجديد وعندها لن ينظر إلى أليس نظرة أخرى. حسناً.. ربما نظرة أخرى. يا إلهي ما أجملها! كان جمالها هناك ولكنه كان مستتراً تحت

مظهر الإرهاق والتعب، أما الآن فهي تشع جمالاً يصعب عليه أن يقاومه وأن يقاوم الانجذاب التام الذي تملكه.

التوى فمه سخرية بنفسه.. إنه غير قانع.. بل هو لا يحب العمل المنزلي، أو الطبخ، أو قضاء الأمسيات في البيت بل ما يرغب فيه هو الحصول على أليس في فراشه، وليس ما يفعله إلا وسيلة للوصول إلى هذا الهدف.. تركته الفكرة غير راض عن نفسه. أشعل سيكارة أخرى، سحب منها نفساً عميقاً، ثم رماها مجدداً كما فعل بالأولى.. إن لها تأثيراً سيئاً في عاداته المفضلة.. متى دخّن لآخرة مرة؟ اللعنة كان ذلك منذ أربعة أيام حين تركته في غرفة الجلوس وذهبت إلى جامعتها.

كان صمت الشقة يكاد يصمّ أذنيه.. فتش عن القطين فوجدهما نائمين تحت أحد المقاعد. اتجه إلى غرفته. إنها الغرفة الوحيدة التي لم تمسها شخصيتها. فجأة أدرك أنه يكره أشد الكره ديكورها. ربما لدى أليس أفكار جيدة لتغيّر مظهرها..

أعلنت ساعة غرفة الجلوس أنها السادسة.. ولم يكن قد مرّ على خروج أليس إلا خمس دقائق.. وضع ماكس كأس العصير من يده، ثم ترك غرفته وراح يشغل نفسه بالمطبخ قليلاً، فأخرج قطعة لحم من البراد، ثم أعادها، فكر بتسخين ما تبقى من طعام الغداء، ولكنه عاد وقرر أن ذلك سيكون جهداً عليه.. أخرج دليل الهاتف وجلس قرب الهاتف على طاولة المطبخ يفتش عن أرقام المطاعم التي توصل الطعام إلى البيوت. ولكنه لم يشعر برغبة في البيتزا أو الطعام الصيني أو... صفق دفتي الدليل، ورماه بعيداً، ونظر إلى ساعته، إنها السادسة والربع. ألن ينتهي هذا المساء؟

كان الوقت متأخراً عندما توقف التاكسي أمام مبنى الشقة، بعد الرابعة صباحاً.. ترجلت أليس ثم لوح لها أصدقاؤها مودعين قبل أن تنطلق السيارة مجدداً. وبدأت ترتقي الدرج الأمامي بحذر.

فتحت باب الشقة ثم أقفلته وراءها، لتدخل المطبخ تاركة وراءها حقيبتها ومعطفها وحذاءها. أضاءت المصباح ثم وقفت لحظات تفكر لماذا دخلت إلى المطبخ، ثم تقدمت إلى البراد فإذا فيه قصعة من «الجلو» ولكنها قررت ألا تتناولها.. كانت تمد يدها إلى طبق مغطى، مثير للاهتمام، حين كلمها صوت مألوف بهدوء ينذر بشرّ:

ـ تأخرت قليلاً في العودة إلى المنزل.. أليس كذلك؟

سحبت رأسها من البراد، والطبق في يدها.. رفعت طرف الغطاء عن الطبق وقالت:

ـ أتحب قليلاً من بقايا هذه البطاطا؟

طافت عيناه الزرقاوان على قدها الميّاس، ثم عادتا ثانية إلى وجهها.

ـ ألم تسرفي في التبرج لمجرد قضاء أمسية مع أصدقاء؟

ردت بترفع:

ـ كانت أمسية احتفلوا بها بعيد ميلاد. عشاء فاخر مختار.

ـ وطال وقته كذلك.. لقد مضى على خروجك أكثر من عشر ساعات.

عبست قبل أن تعيد الصحن إلى البراد:

ـ ذهبنا إلى الملهى بعد ذلك. ماذا عندك لأتناوله؟ آه، عظيم آيس كريم.

فتحت درج الخزانة تفتش عن ملعقة، فقال ماكس بحدة:

ـ ألم تفكري في أنني قد أقلق عليك؟ فقد يصيبك مكروه.

نظرت إليه بحدة: «مكروه؟!»

ـ هل أنت بكامل وعيك أليس؟

ـ بكل تأكيد!

أدركت لثوها ما يرتديه.. كان يرتدي روباً أسود قصيراً، مرخى

حزامه بحيث أظهر صدره البرونزي.. وأكملت بحدة:

ـ عليك ألا ترتدي ملابس كهذه، ليس عدلاً.

ـ ولماذا؟

لأن ما تراه يفعل بأحاسيسها الأفاعيل. أحست بنفسها تقترب من حدود محرّمة، سألته بأدب: «هل أيقظتك؟»

ـ أجل.

ـ آه، حسناً أنا آسفة، لماذا لا تعود إلى النوم؟

ابتسم: «أتمانعين إن اصطحبتك معي؟»

ـ لا. أعني.. بلى! فأنا لست متعبة، بل جائعة.

ـ وأنا كذلك.

مدت له الآيس كريم: «أترغب في تناول شيئاً منه؟»

رفعت العلبة إلى أنفها ثم قالت:

ـ إنه بالشوكولا.

دفع ماكس نفسه عن الباب واجتاز المسافة الفاصلة بينهما بسرعة.

ـ أنت جائعة حقاً؟

وجدت أليس أنه الآن قريب جداً منها فارتدّت أربع خطوات إلى الوراء، ولكنها اصطدمت بطاولة المطبخ.. صاحت متألمة قبل أن تسحب كرسياً وتجلس.

ـ كنت أحتفل.

ـ تحتفلين بعيد ميلاد صديقك أعرف.

ـ لم يكن عيد ميلاد صديقي، بل عيد ميلادي أنا. عيدي الحادي والعشرين..

انضم إليها على الطاولة وقال ببطء:

ـ آسف أليس.. لم أكن أعرف.

ارتفع ذقنها: «هذا لأن ذاكرتك عفنة».

www.elromancia.com

ـ كان التاريخ مدوناً على تراخيص الزواج . . أليس كذلك؟ . . بالله عليك أليس، هل توقعت مني أن أتذكر تفصيلاً صغيراً كهذا؟ لم أكد أنظر إلى الورقة اللعينة.

ردت بغضب: «لم أتوقع ذلك ولكن لو كنت رجلاً محترماً لتذكرت».

وقف ماكس فجأة يفتح خزانة المطبخ ويخرج إبريق لتسخين الماء، وضعه على رف المغسلة ثم وقف يحدق إليه. وقال بهدوء:

ـ كان يجب أن تخبريني . . أليس.

عبست، تتساءل عما إذا كانت قد جرحت مشاعره. وفتشت في ذهنها عما كان يدور بينهما من أحاديث مؤخراً. وقفت بارتباك ودنت منه.

ـ ماكسيم أنا آسفة لأنك لم ترافقني إلى الحفلة.

التفت إليها فرأت عبر ضباب ناعس، حدة عينيه الزرقاوين. . ارتفعت يده تداعب خدها:

ـ كل ما سأقدمه إليك هو قبلة تهنئة بالعيد.

وضع يده على ظهرها وجذب جسمها إليه ببطء، فتمتمت:

ـ ماكسيم.

عناقه كان كافياً لينطلق قلبها في خفقان عنيف. تسمّرت بلا حراك فقبلها مجدداً بخفة. أحست أنها تتعذب، فتمسكت بأطراف روبه، وذابت بين ذراعيه في عناق دافىء، اخترق دفئه روحها. حررت يديها عن صدره ورفعتهما إلى عنقه لتعقد ذراعيها حوله بشدة، وبشوق يماثل شوقه. كان جزء من كيانها مصدوماً بردة فعلها الجياشة، ولكن ما تبقى منها، كان يتوسل إلى المزيد من المشاعر التي ثارت في كيانها كله. وأخذت تهدد بخطر الإفلات من سيطرتها.

شهقت فجأة: «ماكسيم».

صمتت أمام همسه المتودد، ثم أعادت الكرة:

ـ ماكسيم. لا أظن أنّ من الصواب أن تفعل هذا. .

ـ ولماذا لا؟

ـ لأنني متعبة. ولست متأكدة مما أفعل.

همس في أذنها: «أنت تضعين الأفكار في رأسي ليس إلا».

أنزلت يديها عن كتفيه إلى ذراعيه:

ـ هذا يكفي. على الأقل ليس الليلة، فتفكيري مشوش.

لكنه شدها إليه فاستسلمت لعناقه بإرادتها غير قادرة على منع نفسها. ولم تكن الخبرة هي ما تدفعها إليه، بل مجرد غريزة بدائية. وعرفت أن الحرارة التي تشتعل في كيانها هي نار متقدة في كيانه.

ـ أليس. أنت زوجتي.

كانت كلماته في أذنها إنذاراً لها. فانتزعت نفسها من بين ذراعيه، وارتدت حتى البراد، تحدق إليه بارتباك.

تمتم غاضباً، وكأنه يكره نفسه:

ـ أنا وفمي الكبير . . ! لكن جمالك أغواني أعظم إغواء.

ـ لا تشتم هكذا . . كلامك ليس لطيفاً!

ـ ولا أشعر أنني لطيف الآن . . لقد رميت منذ برهة بزواجنا العذري إلى لظى الجحيم!

ـ ما كان عليك أن تعانقني.

ـ بل ما كان عليّ أن أتزوجك.

رفعت يدها إلى جبينها، وقالت بحزن: «لا أشعر أنني بخير».

ـ اصعدي واستحمي بالمياه الباردة وسأحذو أنا حذوك.

ـ في مثل هذا الوقت؟

ابتسم ساخراً: «أتفضلين أن أصحبك معي؟».

ـ لا . . لا . . لا أظن هذا.

ـ لكنك لست واثقة؟

أغمضت عينيها لتمنع صورته عنها . . وهمست :

ـ أنت لست عادلاً بتلاعبك بي ماكسيم!

فهم ما تعني بدون عناء فأجاب :

ـ وما أنت بعادلة أيضاً. فهذا الفستان كان يستصرخني لأنتزعه عنك.

ـ اشتريته اليوم!

ـ إنه جميل جداً.

فتحت عينيها فجأة فوجدته لا يبعد عنها سوى بضع أنشات ووجدت أن غضبه تلاشى عن وجهه، مد يده ببطء إلى كتفيها . . فترنحت باتجاهه فلاقاها في منتصف الطريق، وعانقها بلطف خال من التطلب. كان عناقه دافئاً محبباً وفي هذه المرة كان هو من تراجع، علماً أنها تمسكت به وكأنها لا تريد أن تتركه أبداً.

ـ في الغد أليس . .

ـ في الغد؟

ـ سنتكلم غداً . . أما الآن فتصبحين على خير.

ـ تصبح على خير.

لكنها لم تتحرك، وشدها ثانية إليه فعانقها بسرعة، ثم دفعها نحو الباب، مقاوماً إغراءها قائلاً :

ـ آوي إلى فراشك أليس. قبل أن أغير رأيي وأحملك إلى غرفتي.

نظرت إليه نظرة أخيرة، سارت في الردهة الواسعة . . وما إن أصبحت في غرفتها، حتى خلعت ملابسها حالمة وتسللت إلى ما تحت الأغطية، وما هي إلا ثوان حتى تلاشى كل شيء وغرقت في سبات عميق.

* * *

٥ ـ أهلاً بالمتاعب

استيقظت أليس بعد بضع ساعات فوجدت المطر منهمراً وصداعاً أليماً في رأسها. استلقت على ظهرها متأوهة من الألم. . ولم تسترح، فعادت تحدق إلى السقف وهي تفكر في أنها لن تتمكن من الحراك طوال حياتها . . ثم، ببطء وحذر شديدين رفعت الأغطية وترجلت. أخافها منظر ثيابها المكومة على الأرض وأدركت أنها نامت بدون أن ترتدي شيئاً . . جمدتها الفكرة ثم أدارت رأسها تنظر بقلق إلى الوسادة الأخرى على الفراش فإذا بها لا تجد دليلاً على وجود شخص آخر. بالطبع لا! وراحت تنهر نفسها . . فيم تفكر؟

أسرعت إلى الحمام فاستحمت ثم باشرت بتجفيف شعرها وبتزيين وجهها وعندما أنهت عملها شعرت بأنها عادت قليلاً إلى طبيعتها . . شدت حزام روبها الطويل، وغادرت الغرفة لتعدّ كوباً من عصير البرتقال ولكنها قبل أن تصل إلى المطبخ شاهدت ماكس يركض متسلقاً الدرج فتوقفت بلا حراك . . كان يرتدي جينزاً ضيقاً، ويدعك شعره الرطب بمنشفة جافة. أحست بقلبها يخفق خفقات سريعة. أنزل المنشفة عن رأسه، وتوقف بتكاسل في طريقها وعلى فمه ابتسامة ماكرة.

ـ صباح الخير . . أم أقول مساء الخير؟

ـ عفواً . .

تراجعت بسرعة إلى غرفتها. كانت تخرج يومياً إلى جامعتها قبل أن يستيقظ . . وها هو اليوم يضبطها وهي لا ترتدي سوى روبها وهذا ما أثار

www.elromancia.com

توترها. نظرت إلى ساعتها فإذا الوقت قد تجاوز الواحدة.

ارتدت سروالاً صوفياً ورديا، وكنزة مماثلة.. ثم وضعت لمسة من ظلال العيون، وحالما أنهت تمشيط شعرها شعرت بأنها أصبحت مستعدة لمواجهة أي شيء.

حسناً.. ليس كل شيء تماماً.. فقد كان ماكس في المطبخ يحضر البيض المقلي. ولدى رؤية البيض المقلي، ضغطت على معدتها المتقلصة، وقالت:

ـ أيجب أن تفعل هذا الآن؟

ابتسم ساخراً: «ما خطبك؟».

ـ ماكسيم يكاد صداعي يميتني. على الأقل غطِ البيض بغطاء ما.

جلست إلى طاولة المطبخ تسند رأسها بيديها، فقال:

ـ إن كوباً من عصير البندورة هو الدواء الشافي لصداعك.

ـ بل سيخنقني هذا العصير.

حمل طبقه وفنجان قهوته وجلس قبالتها على الطاولة.. فاستقامت تنظر بكراهية إلى «الأومليت» والتوست في طبقه.. نظرت إليه فإذا هو ينظر إليها بثبات. تصاعدت لمسة من الاحمرار إلى خديها، وتذكرت الانجذاب العاطفي الذي شعرت به ليلة أمس. ولكن هراء! كان ذلك حلماً.. يا الله إن اكتشف ما كانت تحلم به!

أعادت وضع مرفقيها على الطاولة، لتمسك رأسها المتألم بين يديها:

ـ ماكسيم. لا أدري ما تريدني أن أفعل. جئت ليلة أمس في الثالثة، وقصدت فراشي فوراً.

ـ بل كانت الساعة الرابعة، ولقد أيقظتني ضجتك وحركتك.

ـ حقاً؟ أنا آسفة.

ـ لست آسفة نصف أسفي، صدقيني.

ثم هبّ من مكانه وخرج من المطبخ، وبعد لحظة سمعت باب المنزل يُقفل. فتمتمت ساخطة:

ـ حسناً.. يبدو أن أحدنا استيقظ اليوم سيء الطباع.

شعرت بأنها تريد المزيد من النوم فأوت إلى فراشها. وبدا لها أنها لم تنم طويلاً، حتى أحست بيد ثقيلة تهزها لتستفيق. تأوهت ووضعت الوسادة الثانية فوق رأسها.. ولكن أحداً أبعدها عنها.

ـ استيقظي.. هناك مخابرة هاتفية لك.

رفعت رأسها فرأت ماكس يغادر الغرفة:

ـ ما.. ماذا؟ لماذا لا تتلقى الرسالة عوضاً عن إيقاظي؟

ترجلت ثم توجهت إلى المطبخ حيث كان يفرغ بعض مشترياته، حين دخلت حافية القدمين قالت بعدوانية:

ـ لماذا لم تستلم الرسالة نيابة عني ماكسيم؟

مررت أصابعها في شعرها الأشعث وهي تلتقط السماعة.

ـ آلو.. أليس تتكلم.. تشارلز! من أين تكلمني؟

تلاشى صداعها لدى سماع صوت عرّابها المحبب:

ـ أجل.. أحب أن أتناول العشاء برفقتك، متى؟ لا.. هذا يناسبني أراك إذن.. وداعاً.

صاح ماكس: «ليلة صاخبة أخرى، على ما أرى».

ـ ماذا دهاك؟

رمى لها علبة بسكويت: «لا شيء، خذي هذه وضعيها في الخزانة».

أعادت رميها إلى رف المغسلة.

ـ آه، فهمت.. ما زلت غاضباً لأنني أيقظتك ليلة أمس؟

ـ هذا صحيح، لأنني لم أستطع العودة إلى النوم إلا بعد فترة. كما أنني لا أحمل في صدري ضغينة ضدك.

www.elromancia.com

ـ حسناً، ما خطبك إذن؟ أنت غاضب من شيء ما.

ـ أتقصدين من هذا التصريح إثارتي؟

اتجهت إلى باب المطبخ:

ـ حسناً.. لا تقل لي شيئاً. عزّابي في المدينة وقد وعد باصطحابي للعشاء في الخارج بمناسبة عيدي. سأغير أنا ملابسي أما أنت فتمتع بمزاجك السيء!

لحق بها صوت ماكس وهو يضج بالغضب:

ـ انتبهي لصحتك هذه المرة أرجوك، فالسهر الطويل يخرجك عن طورك!

التفتت تواجهه فطاف شعرها الحريري حول كتفيها:

ـ ماذا يفترض أن أفهم من كلامك هذا؟

صفق باب الخزانة بقوة: «هذا يعني أن لا تلعبي بالنار».

ـ إذا كنت تشير إلى حالة الإرهاق التي أصابتني بعد السهر فقل ذلك بصراحة ماكسيم! الشيء الوحيد الذي لا تمتلكه، هو الأدب!

ـ أوه. انسي الأمر، بل فلننسه معاً. اتفقنا.

ـ لا لم نتفق. أنت بدأت هذا، وأنت من ستنهيه! ما خطبك الآن؟ اخرج، واستمتع و...

ـ أراهن أنك استمتعت..! أكان الجميع مستمتعاً؟ هل رقصتم على الطاولات؟ هل تعريتم؟ لا تنظري إليّ بسخط. أنت لست طاهرة بريئة كما تتظاهرين. تلك التمثيلية التي قمت بها يوم التقينك، يومذاك كنت تضعين ستارة على نفسك، بشعرك المرتد إلى الوراء وبوجهك الخالي من الماكياج وبثيابك البسيطة.. لا أدري ما نوع الستائر التي كنت تحاولين إحاطة نفسك بها.. لكن...

صاحت تغلي غضباً:

ـ لم يكن هناك ستائر ولم أكن أمثّل! كما أنني لا أرقص على

الطاولات! ولا أتعرى!

رد بكلمات تتقطر سخرية:

ـ توقفي عن الادعاء أليس.. هل ستقولين أيضاً إن لا عشاق لك.. أيتها الخبيرة بفن العناق؟

شهقت بحدة للإهانة:

ـ أنت كريه لا تطاق، ومنحط ومتعجرف! ماذا كنت تفعل؟ أتصغي إلى القال والقيل؟ أبهذه الطريقة تحصل على ما يثير خيالك؟

ـ آخر معلومة تلقيتها كانت من مصدر موثوق جداً.. وهي حقيقة لا خيال. أنت فعلاً خبيرة.

ردت له الصاع صاعين:

ـ عظيم.. عظيم! ما دمت مهتماً بشؤوني فلماذا لا تسألني ماذا فعلت بالمال الذي أعطيتني إياه حتى الآن؟ العشرون ألف جنيه.. هيا.. اسأل! لا بأس سأخبرك بنفسي! تبخرت. لقد أنفقت كل قرش منها. هاك هل أنت سعيد الآن؟ اندفعت أنفقه على اللهو والصخب. وبمناسبة الحديث عن المال أريد دفعة مسبقة عن الشهر القادم.. ألف جنيه يكفي. سأقيم حفلة راقصة مفتوحة يوم الجمعة القادم، لكل أصدقائي.. و..

ـ أنت...!

قطع المكان بسرعة ليمسك بكتفيها بغضب غير مكبوح.

ـ أنت..! أنت تدفعينني إلى السير فوق الجدار..

دفعها عنه، وعاد إلى ترتيب المشتريات في خزانة المطبخ، دعكت ذراعيها بغضب صامت بارد. تراقبه وشفتها ترتجف.. لقد تلاشت رفقتهما الممتعة. طردها سوء طباعهما، وإهاناتهما وكذبهما.

***

ـ لا بد أنني متحدث يثير الملل.. فهذه هي المرة الثانية التي يبتعد

www.elromancia.com

فيها تفكيرك عني هذا المساء.

ـ ماذا؟ آه، تشارلز أنا آسفة.

مدت أليس يدها تمسك يد عرّابها.

ـ الغلطة غلطتي.. أنت لن تكون مملاً أبداً.

سألها باهتمام: «مشاكل أليس؟».

ـ لا.. كل شيء على ما يرام.

ـ لا بد أن الدراسة مفيدة لك.

ـ إنها تشغل تفكيري بشكل دائم. هذا عدا أشياء أخرى!

صمتت لتنظر إلى تشارلز ينظر إليها متسائلاً. إن عرابها شخص مهم جداً في حياتها، فبعدما مات والدها أسرع إليها يعرض عليها المال ولكنها رفضته لأنها تعلم أن شاني وجديها لن يقبلوا أبداً الإحسان. فماذا سيقول شارلز إن عرف أنها بعدما رفضت عرضه، قفزت للتمسك بعرض ماكس.

ـ عزيزتي من هو ذلك الرجل الذي رد علي حين اتصلت بك؟

تابعت ترددها.. لكنها فجأة قالت:

ـ أنا متزوجة شارلز بشكل ما. أعني أنني قانونياً متزوجة، أما واقعياً فلا. ماكس زوجي، اضطر للزواج بسرعة ليحصل على مال يحتاج إليه.. ولقد تلقيت قسماً من ذلك المال، لأنني وافقت على الزواج به مدة سنة. لقد تزوجت من أجل عائلتي..

ـ أعرف.

ـ تعرف؟

ـ أعرف أنك لن تقبلي بمثل هذا إلا إذا كان عندك أسباب وجيهة.

عبثت بالسوار الذي أهداها إياه بمناسبة عيد ميلادها:

ـ كان هذا أسهل بكثير من قبول مساعدتك لي شارلز.. فبهذه الطريقة جنيت المال الذي لم يكن إحساناً.

ـ أفهم من هذا، إنه مبلغ كبير؟

ـ مئة وخمسون ألف جنيه. وأضف إليه مصاريف إعالتي.

ـ إنه لكرم كبير منه.. وكيف تجري الأمور بينكما؟

تغير الانطباع على وجهها: «كنا على ما يرام حتى اليوم».

توقف كوب شارلز قبل أن يصل إلى فمه: «آه، وماذا حدث اليوم؟»

ـ تشاجرنا. كان مزاجه سيئاً ولا أدري السبب، فبعدما كلمتك هاتفياً، انفجر غضباً.

لمعت عيناه بحدة:

ـ ألا يعاملك بلطف؟

ـ ماكس ليس بالشاب السيء. كل المسألة أنه يظنني فتاة عابثة وهو يأخذ الأمر على محمل شخصي.

ابتسم تشارلز.

ـ يبدو أن لزوجك تأثير قوي فيك.. لقد تبادلت بضع كلمات معه قبل أن يستدعيك، وذكر أنك تأخرت حتى ساعات الصباح الأولى في الخارج احتفالاً بعيد ميلادك.

ـ وهذا ما أغضبه. قال إنني أيقظته حين عدت.. وفيما كنت أغادر الشقة طلب مني أن تعيدني في ساعة محترمة. أليس متسلطاً؟

بدا أن تشارلز يهتز بفعل تسلية مكبوتة فقال كأنما يحدث نفسه:

ـ هذا دليل آخر جيد.

ثم غيّر الموضوع قبل أن تتمكن من التفسير:

ـ لقد دعوت شخصاً آخر للانضمام إلينا بعد العشاء. لقد وصل لتوه.

وقف ليحيى القادم:

ـ داني.. يسرني مجيئك. أرغب في أن تقابل ابنتي بالعمادة.

www.elromancia.com

أليسون فيرلاي.

صافحت أليس الرجل الطويل الغريب الوسيم، وراقبته عابسة. تجاهل تشارلز ذكر اسم داني الأخير، وهذا ما ساءها فقد شعرت بأن هناك شيئاً مألوفاً في وجهه، خاصة في عينيه.. ولكن سيصعب عليها بدون اسمه كاملاً تحديد ماهية هذا الشيء المألوف. ثم وجدت عرّابها يقول دون أن تتوقع:

ـ لقد تأخر العشاء أكثر مما توقعت.. وأخشى أنني مضطر للرحيل قبل أن تقلع طائرتي.

ثم هبّ واقفاً وقال:

ـ سيعتني بك داني، وسيقلك إلى المنزل في الساعة المطلوبة.

ـ لكن.. تشارلز..

ـ أراك ثانية في وقت ما من الشهر القادم أليس.

ـ حسناً. لا بأس تشارلز. انتظر! شكراً لك على هديتك.

ـ تذكر داني، في ساعة محتشمة، إنها تعليمات من المراجع العليا!

ترك رحيله وراءه صمتاً قصيراً، كان داني خلاله يمعن في دراسة وجه أليس بعينين باردتين. وعندما تكلم أتى صوته بارداً أيضاً.

ـ لم تعد تخطيطات تشارلز كما كانت.

لم تكن أليس غبية:

ـ أتشير إلى أنه تعمد تركنا وحدنا؟

ـ حين التقيته وقت الغداء اليوم ذكر أنه سيبقى الليلة في لندن. أنا لا أحب أن يناورني أحد آنسة فيرلاي، وهذا ما يعرفه تشارلز خير معرفة. ومع ذلك مضى قُدماً في تدبير لقاءنا.. فلماذا فعل ذلك برأيك؟

ـ ليس لديّ فكرة.. يفعل عرّابي أحياناً أموراً يظنها لصالحي، وربما أنت أحد هذه الأمور.

ـ إذن فهو مجنون لأنني لا أصلح لأحد.

إنها ملاحظة لا اكتراث فيها، ولا أثر لتعاطف.. فداني يعرف خير معرفة أي نوع من الناس هو، ولا يزعجه ما يعرف. نفض الرماد من سيكارته، وأصبحت عيناه الزرقاوان أشد برودة.

ـ هل أنت ويا للصدفة الغريبة أليس فيرلاي نفسها التي صرع أدولف برنستاين أذنيّ بها طوال فترة بعد الظهر؟

بدت الدهشة على أليس:

ـ البروفسور برنستاين هو مستشاري في الجامعة.

ـ أنت هي إذن! تبدين أصغر من أن تكوني في سنتك الجامعية الأخيرة.

ـ لقد بلغت البارحة الحادية والعشرين، لماذا حدثك البروفسور برنستاين عني؟

هز كتفيه: «أنا مدير مؤسسة براينجر وهو يرى أنك قد تكونين ثمينة للشركة».

مؤسسة براينجر! كادت أليس تتوقف عن التنفس.. هل ستكون من نخبة المتخرجين الذين سينضمون إلى هذه الشركة العملاقة؟

ـ وما هو رأيك سيد داني؟ أعتقد أنك أمعنت النظر في سيرتي.

ـ سجلك في الثانوية والجامعة لامع وبناء عليه أنت مرشحة معقولة.. ولكنك صغيرة وتفتقرين إلى الخبرة.

ـ ما كان البروفسور برنستاين ليزعجك بأخباري إن كان لا يراني أهلاً للوظيفة.

ـ أنا وأدولف برنستاين صديقان قديمان وهذا يعني أنني أعرف ذلك خير معرفة وبناء على توصيته أعرض عليك مركزاً في شركتي فور تخرجك في الربيع المقبل.

ابتسمت:

ـ شكراً لك. ليتك تعرف ما يعني لي العمل عندكم.

www.elromancia.com

- سأعرف عندما أراك تعملين جاهدة.

أحست أليس مرة أخرى بشيء مألوف فيه فسألته:

- لا أريد أن تفهم ما أقوله بطريقة خاطئة ولكنني أشعر بأننا التقينا من قبل. فهل هذا صحيح؟

- لا.. فلو تقابلنا لتأكدت من تذكرك لي جيداً.

رفعت ذقنها: «أتقصد أنك كنت ستحاول العبث بي؟».

- كنت سأحاول بكل تأكيد، فأنت فتاة مغرية.

- عظيم الآن.. ما هذه المفاجأة السارة!

لم يكن هذا الصوت لطيفاً أو دهشاً، فرفعت نظرها بسرعة وإذا ردة فعلها الفورية لرؤية ماكس سرور ودفء.. ثم تذكرت الظروف التي افترقا عندها فاختفت ابتسامة الترحيب عن وجهها، وقالت بتكبر: «عفواً».

ارتدّ داني في مقعده، ورد:

- ليست مفاجأة كبيرة ماكس، فأنت تعرف أنني قادم إلى لندن هذا الأسبوع لنناقش بعض الأعمال.

انتقل نظر أليس من واحد إلى الآخر بدهشة.

- أيعرف أحدكما الآخر؟

ثم شاهدت بوضوح.. أحدهما أشقر، والآخر أسود الشعر، ولكن عيونهما متشابهة والآن باتت تدرك جيداً تقاربهما العائلي. رد داني على سؤالها:

- لسوء الحظ أجل أليس، هذا ماكس هاوتورن شقيقي.. ماكس هذه أليسون فيرلاي.

صدمت عيناه الزرقاوان عينا أليس:

- فيرلاي! أهذا هو الاسم؟ غريب، لكنني تصورت أن لك اسماً فرنسياً. سأنضم إليكما لشرب القهوة.

قال داني ببرود: «لا أذكر أنني دعوتك».

جلس ماكس إلى جانب أليس.

- ذاكرتك حادة كعادتها دائماً.

التفت إلى الساقي: «قهوة أرجوك».

جلس قرب أليس بشكل ظاهر، وحين جلس لامست ركبته ركبتها تحت الطاولة.. فسارعت إلى إبعاد ساقيها ونظرت إلى داني فإذا بتعابير وجهه مكبوتة ولكن غضبه كان بارزاً في صوته.

- ابتعد عن هذا ماكس! أليس معي.

- أخي العزيز، لا تتوقع الاحتفاظ بهذه الحلوة الشابة لنفسك فقط. وأضف إلى ذلك أنك لا تتكلم إلا عن العمل، وأنا واثق أنها تتوق إلى أحاديث جديدة. أتحبين الحيوانات آنسة فيرلاي؟

إذن، لقد قرر اللعب؟ حسناً.. ستجاريه في لعبته:

- أنا أكره الحيوانات.

- حقاً؟ لكنني مولع بها.. لدي قط، أو كان لدي قط ولكن لسوء الحظ فقدته وقت العشاء.

التفتت أليس إليه بقلق حاد، فشاهدت النظرة المتهكمة في عينيه، ولامت نفسها لانخداعها بقوله. قالت باستخفاف: «المسكين، لا شك في أنه ضاق ذرعاً برفقتك».

- هذا ممكن.

قامت نظرة ماكس بتقويم كسول على فستانها الأبيض الذي يبرز ثناياها النحيلة. كان الفستان أفضل فساتينها، وأحست بعينيه وكأنهما تتسللان إلى أعماقها، فقالت غاضبة:

- توقف عن هذا فوراً ماكسيم! أنت تفعل ذلك عامداً متعمداً بغية إزعاجي ولكنك لن تنجح!

مد يده ليدفع خصلة عاجية عن وجهها ولمسات أصابعه خفيفة

www.elromancia.com

كالريش:

ـ لا؟ لقد قلت لك أشياء قذرة بعد الظهر.. أعتذر عنها بكل أسف. كنت غاضباً، ولم أعن ما قلت. فهل تسامحينني؟

مسحت كلماته ذلك الحادث من دماغ أليس ثم راح يخبرها كم يتوق إلى العودة إلى اتفاقهما القديم. أمسكت يدي ماكس بين يديها لتتأمل بعض الاحمرار الذي رأته عليهما وكانت حركتها هذه قبولاً غير ملفوظ لاعتذاره. قالت، وابتسامة لوم تلوي شفتيها:

ـ لقد أصبحت حقاً جريح معركة.. ماذا حدث هذه المرة؟

ـ مجرد عناد. لقد أصبحت على رأس لائحة الكراهية بالنسبة للقطين.

ـ مسكين ماكسيم.

أدركت فجأة أن اللعبة انتهت فوجهت نظراتها إلى داني الذي كان ينظر إليهما وليس على وجهه أي تعبير.

ـ دان. أنا آسفة لأنني تجاهلتك.. فنحن.. أنا...

ـ لا تأبهي! لقد لاحظت ذلك الوميض حالما أتى ماكس على ذكر القط الذي هو من الواضح موضوع عائلي.

ـ لكل منا قط. وكل قط منهما يتصرف وكأنه يملك الشقة بأكملها.

تركزت نظرته الحادة عليها: «أتعيشان معاً؟»

امتقع وجهها: «حسناً، في الواقع..»

قاطعها ماكس ببرود: «أليس زوجتي».

ـ زوجتك!.. لكن تشارلز لم يذكر شيئاً عن موضوع زواج!

لم يكن داني ممن يظهر ردة فعله بوضوح، ولكن هذه المعلومات أذهلته.. قالت أليس:

ـ لقد أخبرته للتو خلال العشاء، تشارلز عرّابي وهو من عرفني إلى داني.

تبادل الأخوان نظرة توتر غريبة، واستقام داني ببطء.

ـ ما الذي يجري بالضبط بحق الله ماكس؟

ـ لا شيء يعنيك. أهذه هدية عرّابك؟

أمسك يدها يرفعها عن الطاولة وعيناه تتأملان السلسلة الذهبية الرائعة التي تتدلى منها قطع الماسية متفرقة. فأجابت:

ـ أجل. أليست جميلة؟ قال إن عيد الميلاد الحادي والعشرين يستحق شيئاً مميزاً.

قال داني بصوت هادىء: «ألا يعرف العجوز بهذا؟».

ترك ماكس يد أليس، وشبك أصابعه بأصابعها:

ـ لا.. ولن يعرف.

أحست أليس بالإنذار الحاد في لهجته، مع أن أحاسيسها كانت مرتبكة مشوشة بسبب ما يفعله. كان قد اقترب منها حتى التصق كتفه بكتفها، واستطاعت أن تشم رائحة عطره الممزوج برائحته الرجولية. حاولت عبثاً جذب يدها منه لأنها ترفض الطريقة التي كانت فيها نبضات قلبها تتصاعد للمسته.. لقد بدأت الآن ترتقي درجة النجاح الأولى ولا تستطيع بل لا تريد، أن تتورط عاطفياً مع هذا الرجل أو مع أي رجل آخر. خاصة مع رجل مثل ماكس لأنه سيحرقها، ثم يتركها رماداً حاملاً معه قلبها وروحها.

سمعت داني يقول مفكراً:

ـ لستما متزوجين منذ مدة بعيدة، أليس كذلك؟ حين رأيتك منذ شهرين، كنت تصادق امرأة شقراء وكان الزواج أبعد ما يكون عن تفكيرك. ولكن عليَّ الاعتراف بأن ذوقك قد تحسن كثيراً، وأظن أن العجوز سيرحب بها فرداً جديداً في العائلة.

ـ لا يهمني رأي ادغار أبداً بل لم أعبأ برأيه منذ ثلاث عشرة سنة.

شاهدت أليس عرقاً ينبض بشدة فوق فكه، وأحست أنه يكبح

www.elromancia.com

إحساساً عنيفاً. فأطبقت يديها حول يديه، وكأنها تبعث إليه الطمأنينة وأحست بأصابعه تتصلب.. وسألت:

ـ هل أدغار والدكما؟.. أشرتما إليه بالعجوز و..

رد داني: «إنه جدنا، وهو يريد أن يعود ماكس ليساعدني في إدارة الشركة».

سأل ماكس بسخرية ووحشية:

ـ صحيح؟ يستحيل أن أقترب من مكان فيه ادغار، ذو اليد الطولى في إدارة شؤون حياتي. أخبره بذلك مرفقاً تحياتي.

نظر داني إلى أليس.

ـ حكماً على ما رأيته، لا أجد ما يدعو للقلق بشأن زوجتك التي لا تشبه روز ماري البتة.

رد ماكس بحدة: «لست قلقاً».

جذب يد أليس ووضعها بشكل حميم على ركبته. شعرت بأن حركته هذه أتت كرد فعلي وقائي.. أخذت أليس تنقل بصرها منه إلى أخيه، فتصارعت الأفكار في رأسها. أولاً وليس آخراً، كانت هناك فكرة تزدهر لتوها وبسرعة وهي أن ماكس يهتم بها فعلاً إنما لا كصديقة.. لكن هذه الفكرة اهتزت قليلاً أمام ذكر روز ماري: أهي صديقة قديمة عنت له الكثير في الماضي؟ وماذا عن علاقته ببيبيتا وماذا عن شركة براينجر.. فقد تذكرت الآن أن هذه الشركة الكبيرة ذات المشاريع التي تقدّر بآلاف الملايين من الدولارات، قد تأسست منذ خمسين سنة، على يد رجل أعمال سليط ماكر لا يعرف الرحمة اسمه.. وجمدت أليس.. شركة براينجر، تأسست تحت اسم ادغار هاوتورن وماكس هو حفيده. أحست بالأرض تميد تحت قدميها.

سأل ماكس أخاه:

ـ كيف حال سارة؟ هل رأيتها مؤخراً؟

ـ رأيتها الأسبوع الماضي في باريس.. ألا تظن أن من اللياقة أن تخبرها أن لأخيها زوجة؟

ـ زواجنا شأن خاص داني. وما أخبرتك به إلا لأنك كنت تعتدي على حدودي.

نظر إليه داني ببرود:

ـ لكنها كانت خارج حدودي على أي حال.

ـ لا أظنها كانت خارج حدودك بعدما وصفتها بالمغرية.

ـ حباً بالله ماكس. إنها ابنة تشارلز بالعمادة!

ـ وإن يكن؟ قد يدفعك ذلك إلى التردد ولكنه لن يردعك.

ـ ضع خاتماً في اصبعها إذن. تباً لك! فالخاتم سيردع أي إنسان.

قالت أليس لماكس بارتباك:

ـ ماكسيم؟ أتعرف تشارلز أيضاً؟

رد باقتضاب وهو يرمق أخاه بنظرة متوترة:

ـ لا. لا أعرفه. داني هلا أطفأت سيكارتك، فالدخان يزعج أليس.

لم تعبأ بكلامه بل أردفت:

ـ لكن الطريقة التي تتحدثان فيها عنه..

ـ أنا أعرف أخي.. سيفكر مرتين قبل أن يحاول التلاعب بابنة صديقه بالعمادة ولكنه أخيراً سيتغلب على وخز الضمير، ويفعل ما بوسعه ليغويك.

التقط ماكس فنجان قهوته، وعيناه تصطدمان بعيني أخيه.

ـ أترين.. ليس لدى داني أخلاق نتكلم عنها.

رد داني بلهجة ذات مغزى، والمرح الخفيف في عينيه:

ـ ولا أنت كذلك، أما بالنسبة لشارلز فاعلمي أنه ليس صديقاً بل شريك في بعض الأعمال.. يجب أن تقابله يوماً ماكس، لأنني واثق من أنكما ستجدان أشياء مشتركة.

التفتت أليس باندفاع لتواجه زوجها:

ـ آه ماكسيم، لقد تذكرت! لدي أخبار ممتازة! لقد تحدث مستشاري الجامعي مع داني اليوم.. وبعد مغادرة تشارلز عرض عليّ أخوك الانضمام إلى شركة براينجر في الربيع المقبل.. أليس هذا العرض رائعاً؟

ران صمت طويل تبادل خلاله ماكس وداني النظرات. كان الأول متجهم الوجه بارداً، والثاني حذراً بهدوء.. وبدأ الإشراق يتلاشى عن وجه أليس فقالت بحيرة:

ـ ماكسيم؟ ألست مسروراً من أجلي؟

رد باختصار وهو ينقل نظره إليها:

ـ لا. لست مسروراً، فما شركة براينجر إلا وحش مفترس وهي ستأكلك حية.

ـ أنا أقسى عوداً مما أبدو..

ـ لست قوية إلى درجة الوقوف أمام تقويم جدي لك.

عادت عيناه إلى شقيقه بحدة: «لا يمكنك الحصول عليها داني».

غضبت الآن بسبب طريقته في إظهار امتلاكها:

ـ ماكسيم هذا قراري. وليس لك كلمة في المسألة!

صاح بها: «بل لي كلمة حتى انقضاء سنة كاملة وطالما أنت متزوجة مني، لن تقتربي أبداً من شركة براينجر».

ردت بصوت منخفض غاضب، تبعد يده عنها:

ـ من اقترب منها على أي حال.. لقد قلت لداني إنني غير قادرة على مغادرة لندن قبل أيلول المقبل.. والآن هلاّ توقفت عن القلق بشأن اتفاقنا.

علّق داني ساخراً: «ليس لهذا الجدال المادي ضرورة أبداً، والآن بعدما علمت نوع علاقتك بأخي أسحب دعوتي لك للانضمام إلى

الشركة».

ـ وما شأن هذا بذاك؟ إن زواجي لا يؤثر في قدراتي العملية!

ـ لكن لزواجك بماكس تأثير كبير.

التفتت إلى زوجها: «أرأيت؟ ألم أقل لك إن هذا سيحدث؟».

التقطت حقيبة يدها وابتعدت عن الطاولة، فقال داني مقطباً: «أليس من المستحسن اللحاق بها؟»

ـ ستستقل سيارة أجرة إلى المنزل، وحارس البناية سيتأكد من دخولها بأمان.. وإن لحقت بها فسترميني بشيء ما. لقد ساعدتني كثيراً.

ـ لو كنت أعرف أنها زوجتك، لما عرضت عليها الوظيفة أبداً..

ـ وماذا يفترض بي أن أقول لها؟ إنها من المتفوقات في دفعتها وهي تميل إلى العمل. إنها تستحق أفضل العروض وهي ترى أن شركة براينجر أفضل الشركات الموجودة.

ـ أخبرها الحقيقة.

ـ لا..

ـ ماكس ألا تعلم أنها في النهاية ستدخل الشركة قانونياً. على أي حال.. لقد شاهدت كيف عاملتها. ولو شاهد ادغار ما شاهدته، لتكررت حادثة روز ماري ثانية.

ـ أليس ليست هكذا.

ـ إذن، لماذا تصميمك على إبعادها عن الشركة؟

صمت ماكس. لقد بدأ يعرف زوجته، ولكن ما زال أمامه طريق طويل. لقد تزوجته من أجل المال، فهل ستطلب الطلاق إن عُرِض عليها مبلغ أكبر؟

ـ ماكس.

كان صوت داني ناعماً وخفيضاً، لقد مرّ الأخوان وشقيقتهما

www.elromancia.com

بصعوبات كثيرة في مطلع عمرهما. سنوات من اليتم وسيطرة الجد القاسي الذي اختار تجاهل الفتاة وقرر صهر الصبيين ليكونا نسخة عنه وهذا ما ترك مرارة، وعدم ثقة، أدرك ماكس لتوه أنه يأمل بأن تساعده أليس على محوهما.. زوجته.. زوجته الغريبة، غير الهادئة، المستقلة، المثيرة والمرغوبة بشكل لا يصدق.. إنه بحاجة إلى امرأة مثلها يحبها. لكنه سرعان ما نفض هذه الأفكار عن نفسه. إنه لا يحتاج إليها، ولا يرغب فيها إلا جسدياً. هي فتاة مزعجة قيده بها عرابها المحب. وهو غير قادر على الانتظار حتى نهاية السنة، حتى وإن تمكنت من إضحاكه والتأثير في مشاعره. اللعنة عليها لأنها لم تتذكر ما حصل ليلة أمس!

سمع أخاه يقول: «ماكس، لم تكن روز ماري تستحق الألم الذي أوقعته بك، ولكن ماذا لو استطاع ادغار خداعها، وصدقت كل أكاذيبه.. فهل أنت على استعداد لتخسرها».

مد يده إلى علبة سكائر أخيه:

ـ أتسمح؟ أليس لا تسمح لي بالتدخين في الشقة..

بعدما أشعل سيكاره أجابه عن سؤاله.

ـ هذا سيظهر بكل تأكيد اتجاه هبوب الريح..

سخر منه داني: «وتدّعي أنك لا تهتم بها؟ ما دامت لا تعني لك شيئاً فلم تأبه لاعتراضها»؟

أضاءت ابتسامة وجه ماكس بسرعة:

ـ إن لم أهتم لمطالبها أطلقت الإرهابيين عليّ.

ـ من الواضح أن الحياة الزوجية تناسبك.

ـ عليّ اختبار أوجه معينة أولاً.

ـ الأبوّة مثلاً؟

مسح السؤال كل أثر للمرح عن وجه ماكس ووقف يقول بحدة:

ـ كنت دوماً ذكياً داني، فلا تقل لي إن ذكاءك تخلى عنك فجأة.

ـ حسن جداً. الزواج مدبّر إذن. إنها ابنة تشارلز بالعمادة ومن الواضح أنها لا تعرف أنه خالك. لقد احتجت إلى المال لإبعاد الشركة عن يد ويليام ويبدو أن تشارلز أقرضك المال فأنت لم تلجأ إلينا، بل سمعنا أنك حصلت على التمويل من مكان آخر.. وأفهم من هذا كله أنك قمت باتفاق لمدة سنة مع أليس.. ولكن هذا لا يعني أن هذه السنة قد تنقلب إلى شيء آخر مميز.

ـ أنت خير من يتكلم!

ـ لا تكن مثلي ماكس. أنت وسارة الشخصان الوحيدان اللذان أهتم لهما.. أما النساء فلا ولن يعنين لي شيئاً.. وليت إحداهن تنجح في اختراق أسواري. أما بالنسبة لك فالأوان لم يفت بعد.. دع أليس تحبك ويادلها الحب، فهذا سيسعدني كثيراً.

ـ وماذا عن سعادتك أنت؟

ـ أنا؟ لا أعرف ماذا أفعل بالحب إن وقع على رأسي. ولهذا لم أتورط مع امرأة بطريقة جادة لأنني أعتقد أن الأمر سيؤول بي إلى إيلامها. عد إلى منزلك وزوجتك ماكس. وقل لها إنني قلت: أهلاً بك في العائلة!

* * *

٦ ـ الصداقة المستحيلة

استيقظت أليس صباح الأحد فوجدت رسالة من ماكس يقول فيها إنه سيغيب عن المنزل طوال اليوم. وما دام الأمر كذلك قررت تنظيف الشقة فأمضت اليوم كله في شغل.

كانت واقفة على كرسي في المطبخ تغسل النوافذ، حين عاد ماكس تلك الليلة.. كان الراديو يصدح بالموسيقى بصوت مرتفع إلى جانبها، أما أول ما أنذرها بوجوده فيدان فولاذيتان أمسكتا بخصرها وأنزلتاها إلى الأرض.. لكنها فقدت التوازن واضطرت للتمسك به لتدعم نفسها.

ـ ماكسيم! لقد أخفتني!

نظر بإعجاب إلى «الأفرول» الأبيض الضيق:

ـ كان يومي مرهقاً فهلا عانقتني ليتحسن مزاجي..

وكان هذا عرضاً مغرياً.. لا.. إنه ليس بالمغريّ فقد تذكرت شجارها معه وتراجعت:

ـ توقف عن العبث ماكسيم. أعرف أنك لا تعني ما تقول، ثم من أين الإرهاق؟ فليس من المفترض أن تعود إلى العمل قبل الغد.

ـ اضطررت لتسوية بعض الأعمال مع أخي.

ـ وكيف كانت أمسيتك معه بالأمس؟ لقد تأخرت بالعودة.

استقام لينظر إليها نظرة ثاقبة:

ـ وكيف عرفت متى عدت؟ تحققت منك عند عودتي فوجدتك نائمة.. أو هذا ما ظننته.

ـ لقد أيقظني تحركك في الشقة.

ـ لم أتحرك كثيراً، فكيف يأتي الإزعاج. أنت تفتشين عن عراك، لماذا أليس؟

رمت رقعة التنظيف إلى وعاء الماء والصابون..

ـ وتجرؤ على السؤال؟ لقد خسرت بسببك وظيفة ممتازة ماكسيم!

ـ ليس لي علاقة بهذا، فداني لا يريد أن تعمل زوجة أخيه في الشركة لأن ذلك سيسبب مشاكل كثيرة.

ـ تأكد أنني لن أخلق مشكلة كما أنني لن أكون زوجة أخيه حين أصل إلى هناك فعندها سنكون قد انفصلنا.

ـ ستكونين زوجة أخيه السابقة.. ولهذا الأمر الأثر نفسه، فستستخدمين اسمي.

صاحت: «بل سأستخدم اسمي أنا».

رن جرس الهاتف، فسارعت أليس تلتقط السماعة: آلو؟

ـ مرحباً أليس، أنا تشارلز.. خرجت لتوي من اجتماع مطول وأردت أن أودعك قبل السفر.

ـ أو لم تسافر بالأمس تشارلز؟

ـ لا.. لقد شغلتني الأعمال.

ـ آه، حسناً ما هي وجهة سفرك؟

ـ اليابان، هل أقلك داني إلى المنزل ليلة أمس؟

ـ لا، لم يقلني لأن ماكس ظهر وبعدما أفقدني فرصة عمل رائعة، ظلّ هناك ليتحدث مع داني، أما أنا فعدت إلى المنزل وحدي.

سألها بحدة: «فرصة عمل؟».

ـ عمل لدى شركة براينجر، ولكن جاء زوجي ليفسد كل شيء.

التفتت تنظر إلى ماكس بغضب ثم أردفت:

ـ لن أسامحه أبداً على ما فعل!

www.elromancia.com

ـ هذا عظيم.. لماذا لم يستطع داني أن... حسناً.. يجب عليّ التفكير في أمر آخر.

عقدت حاجبيها: «ماذا تقصد؟».

ـ لا شيء، سأكلم داني بهذا الصدد.

ـ لا. لا تشارلز لا تتدخل. أعرف أن نواياك طيبة ولكن..

امتدت يد رجل لتتناول السماعة منها وقال ماكس:

ـ سنكون لك شاكرين إن أبقيت أنفك بعيداً عن زواجنا.

وأقفل الخط.

قالت أليس ببرود شديد:

ـ ماذا فعلت؟ كنت أتبادل مع عرابي حديثاً شخصياً ولم أكن على استعداد لإنهاء المكالمة.

ـ وماذا يريد من الاتصال بك في مثل هذه الساعة من الليل؟

ـ أراد توديعي لأنه مسافر إلى اليابان الليلة.

ـ ستتخلص منه إذن!

ـ أنت لم تقابله حتى ماكسيم، فلماذا تتحدث عنه بهذه الطريقة؟

ـ إحباط أليس.. مجرد إحباط.

جذبها إليه بتصميم وعزم ثم اندست إحدى يديه في شعرها، والأخرى أمسكت ذقنها بقبضة قاسية و.. وعانقها عناقاً شغوفاً. صدمت وتسمَّرت في مكانها عدة ثوانٍ بسبب تهجمه المباغت وطريقته الحميمة المألوفة التي اعتمدها وشعرت بأنه كان يفعل هذا دائماً. في هذه اللحظة استنتجت شيئاً كان قد حيرها، فأبعدت نفسها بقوة عن يديه وقالت هامسة:

ـ لم أكن أحلم تلك الليلة!

شدها إليه مجدداً: «وسنعيد الكرة الليلة».

حاولت التحرر منه: «ماكسيم، لماذا لم تذكرني؟»

ـ آه، وماذا كان علي أن أقول؟ أليس، أيتها البلهاء الجميلة، لقد نسيت ولكن ما جرى بيننا كاد يحملك إلى فراشي.

ـ هذا غير صحيح.

ظهر لمعان خبيث في عينيه وهو يرى تورد وجنتيها:

ـ هل تذكرت الآن؟

ـ لا لم أتذكر.

كانت تكذب فقد تذكرت كافة التفاصيل.

ـ ربما سيساعدك هذا على التذكر.

وفي هذه المرة نجح في أن يذيب عناقه عظام جسدها. تلاشت مقاومتها، فمدت يدها تدس أصابعها في شعره وتجذب رأسه إليها.

كانت تريد أن تعانقه وتعانقه كانت تريد أن تشم رائحته عن قرب وأن تحس بقوته وأن تعرف بأن مستقبلاً مشرقاً يفتح أبوابه لها. بعد مدة طويلة من إقناع نفسها بأن مثل هذا المستقبل مستحيل، جاءت روعة الاكتشاف بأنها قادرة على المشاركة بهذا الحلم الرائع مع ماكس. رفعت رأسها وهي بين يديه تنظر إليه، وابتسامة حب في عينيها، وكلمات المزاح على شفتيها وسمعته يقول: «أليس رافقيني إلى الفراش».

طلبه الهامس ونظرته الساخنة، جعلاها تتسمر وكأنها لا تصدق ما تسمع... ولكن ما هي إلا لحظة واحدة، حتى كان جسدها يستجيب إلى عقلها. فخبت الابتسامة عن شفتيها وعينيها، وماتت الكلمات وحذبت نفسها بعيداً عنه.

نظرت أليس إلى ماكس مشدوهة عاجزة عن الكلام أو الإحساس، ثم صاحت صيحة قصيرة مخنوقة وهرعت راكضة إلى غرفتها تصفق الباب وراءها وتتكىء عليه. ماكس لا يرغب في الحب، بل ما يحركه الرغبة ليس إلا.

تحركت مسكة الباب، وأحست بالضغط عليه:

ـ أليس، دعيني أدخل! يجب أن نتكلم.

ابتعدت عن الباب غاضبة من نفسها ومن سذاجتها ثم فتحته، فعليها الادعاء بأنه لا يعني لها شيئاً.

قالت تعتذر بطريقة ساخرة:

ـ آسفة ماكسيم، لقد تركتك قبل أن تنهي سعيك لإغوائي. أليس هذا ما كنت ستفعله؟

لم يبتعد عن الباب بل رد بحدّة:

ـ ولكنك لم تعترضي البتة. أما من كان يغوي مَنْ فمسألة بحاجة إلى نقاش.

ـ لقد عملت على هذا طوال الأسبوع! مساء الخميس حين كانت بيبيتا ميتشل في المنزل، وليلة أمس في المطعم، علماً أنك أنت من أكد على عدم التورط.

ـ وهل تقصدين بالتورط المعاشرة الزوجية؟

ـ خلتنا صديقين ماكسيم.

وكانت صيحة بددت حلماً خيالياً لم يسمعها:

ـ لا أريد أن أكون صديقك أليس بل أريد أن أكون حبيبك.

تحررت من قبضته حالما سمعته يصرح بنيته. وتغلب الغضب البارد على تهديد الدموع وسعت تبحث عن كلمات تؤذيه كما أذاها.

ـ لست بحاجة إلى حبيب.. شكراً لك! ولا أريد زوجاً كذلك! كما لا أريدك صديقاً.

قال ساخراً: «أتقصدين أننا ما عدنا صديقين؟»

ـ نعم هذا ما أقصده.

ـ حسناً لك ما شئت. عمت مساء.

ـ عمت مساء.

كان افتراقهما البارد بداية لجمود مشترك برز بشكل واضح في

الأسبوع التالي.

تركت مواجهتهما المريرة أليس حزينة، ولم تقبل مشاعرها الجريحة الحقيقة قبل يوم الجمعة.. وعوضاً عن إلقاء اللوم على زوجها الأناني الظالم، بدأت تلقي اللوم على نفسها.. فعندما عانقها ليلة ميلادها وليلة الأحد استسلمت لما كان يعتمل في نفسها ولم تكن الغلطة غلطة ماكس عندما حاولت أن تصب في قلبه ما كان في قلبها ولكن اهتمامها به لا يعني أن يبادلها الاهتمام نفسه أو الحب.

ظلت طوال نهار الجمعة تضع الأمور في نصابها ولكنها مع ذلك ظلت غاضبة منه إذ كان عليه أن يكبح رغبته كما كبحت رغبتها والآن بعدما اختبر كل منهما مشاعر الآخر أصبحا ملزمين بالعيش مع شوقهما المحبط، الذي يجب أن يبقى بلا اكتفاء وهذا ما سيجعل حياتهما خلال الأشهر القادمة صعبة.

كانت أليس تفكر في ما جرى عندما تلقت مخابرة غير متوقعة من عرّابها صباح الجمعة التالي.. كانت الساعة السابعة والنصف، وقال تشارلز إنه أراد الاتصال بها قبل أن تخرج إلى جامعتها. فقالت:

ـ كيف حالك تشارلز؟

ـ مشغول جداً.. وأنت؟

ـ أدرس بجهد، كالعادة.

ـ هل.. سوّيت خلافاتك مع ماكس؟

ـ آه، بل العكس ما حدث لقد تقدمنا في هذا المضمار وبتنا نمسك بخناق بعضنا بعضاً. ونحن حالياً لا نكاد نتبادل الأحاديث وقد يكون الطلاق هو الحل التالي.

ـ الطلاق؟

ـ ليس في الواقع.. فما زلت بحاجة إلى ماله، وما زال بحاجة لي كزوجة.

ـ أليس . . ألا يعجبك ماكس أبداً؟

ـ هاه!

ـ حسناً أليس لطيفاً؟

ـ إنه مغرور لا يُطاق. يضع تفسيراته الخاصة فوق كل شيء أو اعتبار والآن تشارلز أعتذر منك فعلي الانطلاق إلى الجامعة لقد تأخرت.

ـ أنا مسافر إلى سان فرانسيسكو بعد الظهر. أتمنى عندما أعود في الشهر القادم أن تكونا على وئام.

ـ أبداً لن يحدث ذلك خاصة ونحن على هذه الحال. وداعاً تشارلز. سنتكلم الشهر المقبل.

كانت تدخل إلى المخزن المحلي بعد ظهر ذلك اليوم، حين كادت تصطدم بماكس وصاحت: «ماكسيم».

أمسك بها لئلا تقع!

ـ ماذا تفعلين هنا؟

ـ أتبضّع ولماذا لست في المكتب؟

ـ تركته باكراً. . فلأحمل هذه الأغراض عنك.

حمل مشترياتها، وتابع:

ـ أترغبين في أشياء أخرى؟

ـ أجل. بضع زجاجات من المرطبات. . فأنا. .

وضع مشترياته في كيسها وأمسك ذراعها بأصابعه القوية:

ـ في المنزل الكثير منها، تعالي سأقلك.

ـ لكنك تؤلم ذراعي.

ـ أتخططين لحفلة حميمة ما؟

ـ حميمة؟

ـ حسناً. . لن تتمكني من إقامتها في الشقة. . فلدي ضيوف بالانتظار وعليك أنت وجماعتك الاحتفال في مكان آخر.

فتح باب السيارة، ودفعها إلى الداخل، وصفق الباب:

ـ لكن. .

ولكنه كان يدور حول السيارة ليتخذ مقعد القيادة. رأت أنه عكسها تماماً فمزاجه لم يتحسن مع مضي الأيام. فالتفتت تواجهه: «ولماذا أنت غاضب بالله عليك؟»

ـ اربطي الحزام.

ـ أجبني ماكسيم!

ـ لست غاضباً. امسكي بهذا. . لا أستطيع القيادة وهو في حجري.

انطلقت السيارة بسرعة:

ـ ماكسيم! أبطىء سيرك!

ـ هل دعوت صديقك إلى الحفلة؟

ـ أية حفلة ماكسيم؟ . . قلت لك ابطىء سيرك! إن أردت أن تقتل نفسك فافعل ذلك عندما تكون بمفردك في السيارة.

خفف من سرعته، فتراجعت أليس في مقعدها متنفسة الصعداء ولكن ماكس بدا كئيباً، نحيلاً. . ألم يكن يأكل؟

ـ لماذا لست مع ضيوفك ما داموا الآن في الشقة؟

ـ نفد البن. ألا تزعجين نفسك بتفقد المحتويات؟

ـ لولا إكثارك من شرب القهوة لما نفد بسرعة.

ـ لا تعجبك قيادتي ولا يعجبك أن أكثر من احتساء القهوة. أهناك شيء آخر تذكرينه في هذا السياق؟

ردت بخشونة:

ـ أجل، تدخينك في غرفة الجلوس. كنت تدخن طوال الأسبوع، والآن تعبق الرائحة في الغرفة كلها.

ـ وهذا ما تحتاجه.

ـ أليْسَ بيننا اتفاق ماكسيم؟

www.elromancia.com

ـ لن أغيّر عاداتي مهما كانت سيئة أو غير سيئة.

ـ ليس هناك «لا» بشأن الأمر، فكل عاداتك سيئة، أنت فظ، كريه..

ـ هذه ليست عادات بل سمات.. ثم وفري عليّ سماع عظاتك أليس..

أطبقت فمها بصمت وغضب حتى وصلا إلى المنزل. أوقفها ماكس عندما كانت تهم بفتح باب الشقة، وقال بلهجة آمرة:

ـ ضعي القيد على طباعك السيئة وإياك وإهانة ضيوفي.

سحبت نفساً عميقاً: «طباعي! من بين جميع...»

رسمت ابتسامة على وجهها ثم أردفت بعذوبة:

ـ لن أتفوه بكلمة قذرة واحدة.

ـ تأكدي من هذا.

خطفت كيس المشتريات منه، ووقفت في الباب تفتحه، فدخل ماكس رأساً إلى غرفة الجلوس وهناك سمعت أليس صوت بيبيتا. فتمتمت: «هذا كل ما أنا بحاجة إليه»..

رمت الكيس على رف المغسلة، وشرعت بتفريغ المحتويات. تناهى إليها صوت بيبيتا وهي تقول:

ـ آه، هيا ماكس! ادعها لتشرب القهوة معنا.. أم من غير المسموح لها أن تشاركنا القهوة؟ أقلت إنها طالبة؟ حسناً. ربما القليل من القهوة فقط!

وكان هذا أكثر من أن تطيقه أليس فما هي بطفلة لتعطى الإذن بالانضمام إلى الكبار لتسليهم. هذا منزلها وعليها أن تثبت حقها فوراً. مسدت شعرها، واستعدت للمعركة ثم توجهت إلى غرفة الجلوس التي لم يكن فيها سوى ضيفين.

ـ أعذراني. يجب أن أحضر سلة الخياطة..

كان ماكس جالساً في مقعد ذي مسندين إلى جانب المدفأة ماداً ساقيه أمامه. عندما سمع صوتها رفع نظره بحدة، وضاقت عيناه ارتياباً، وقال:

ـ سلة الخياطة، في خزانة الردهة.

ـ أوه..! أمتأكد أنت؟ لقد استخدمتها هذا الصباح لأخيط زراً لك.

اشتد ضغط فمه ولكن قبل أن يتكلم وقف روي كاميرون ليجذبها إلى الأمام مقترحاً:

ـ ربما عليك تأخير الخياطة قليلاً، والانضمام إلينا؟

ـ شكراً لك ولكنني لن أحلم بالتطفل عليكم.

ازدادت شكوك ماكس حدة.. فحين تظهر أليس كامل براثنها، فهذا يعني أنها تسعى إلى المعركة.. وراقبها باهتمام قلق مفاجىء بينما كان روي يقول:

ـ لن تتطفلي علينا أبداً.. فنحن في اجتماع عمل.

ـ حسناً لن أمانع في الانضمام إليكم قليلاً. فزواجي بماكس يجعلني دائمة الانشغال.

تكلمت بيبيتا بكسل:

ـ إن تباحثنا الأمر بشكل جدي وجدنا أنك لست زوجة ماكس.

جلست أليس على الأريكة بأناقة:

ـ لا.. لا.. أنا أدعي هذا فقط. أليس كذلك ماكسيم؟

سألها وهو متوتر:

ـ أليس لديك دروس؟

ـ سأتغيب، فالدراسة مملة.. هل لي أن أتناول شيئاً من القهوة وأعدك ألا أرقص فوق الأثاث؟

نظر إليها غاضباً فتدخل روي وهو يكبح ضحكة قوية.

ـ أنا واثق أن ماكس لن يمانع. أتريدين القهوة مع السكر؟

ـ أجل . . أرجوك .

ارتدت بيبيتا من مقعدها وقالت بطريقة تقصد منها إثارة أليس :

ـ إذن . . هل أنت زوجة مدعية جيدة، لماكس؟ أتطبخين له، أتكوين ثيابه وتحضرين فراشه؟

ردت أليس بعذوبة :

ـ آه، أجل . . أفعل كل هذه الأمور فأنا أؤمن أن الرجل يجب أن يجد من يُعنى بمثل هذه الأمور الصغيرة .

تقبلت فنجان القهوة من روي :

ـ شكراً لك . . همم إنها لذيذة ماكسيم .

نظر إليها متهكماً : «أنت الحكم» .

نظر إليها وهو يلاحظ مدى جمالها في هذا الثوب الفيروزي المشدود إلى الخصر بحزام أسود عريض . وللأسف هذه هي مشكلته فمنذ عودته من مانشستر قبل أسبوعين وهو يعي دائماً كل تعبير يعتلي وجهها وينتبه لكل إشارة تبدر عنها . كل شيء فيها يجذبه إليها . الكذابة الصغيرة! إنه يذكرها جيداً وهي تجذبه إلى موضوع العمل المنزلي . ويذكرها عندما شاركته عناقه الحار الذي انتهى أمره في أمد قصير . كما يتذكر تلك الكلمات الحارة التي ما كان يجب أن تقال ولكن . . وليت . .

قطع صوت بيبيتا عليه أفكاره :

ـ على فتاة صغيرة مثلك أن تشعر بالحرج الشديد لغسيل ثياب رجل .

ـ لكنني أغمض عيني عندما أتناول ثيابه الداخلية .

كاد روي يشرق بقهوته . . فنظرت أليس إليه بدهشة . ضاقت عينا بيبيتا :

ـ كم عمرك على أي حال؟ ثمانية عشر أم أقل؟

ـ في الواقع ما زلت في السادسة عشرة . . لكنني جسدياً أبدو أكبر

من عمري .

قال ماكس محذراً : «أليس» .

قاطعته بيبيتا :

ـ لا بأس في هذا حبيبي . . يبدو أنها حساسة بشأن هذه المسألة .

وقف يعيد ملء فنجانه، ويقول باختصار :

ـ إنها في الحادية والعشرين، وليست حساسة إطلاقاً .

وفكر في نفسه : وتوقفي عن مناداتي حبيبي . . فبيني وبين زوجتي مشاكل عديدة تكفيني .

بدأ ماكس يتمنى لو امتنع عن اصطحاب بيبيتا إلى المنزل . ولكنه أراد من ذلك أن تثير امرأة أخرى غيرة أليس التي لا يرى على وجهها مظاهر الغيرة بل يرى تصميماً على الانتقام منه بواسطة بيبيتا . . اللعنة، ألم تسأم بعد من القتال؟ يعرف أنه قد سئم منه ولم يعد يريد الآن سوى أن يعانقها ويصالحها .

رفعت بيبيتا صوتها سائلة :

ـ لماذا تنادينه ماكسيم إن اسمه ماكس؟

ـ عفواً؟

لامست بسمة انتصار شفتي المرأة الرفيعتين :

ـ ألم يخبرك أنه يكره أن يناديه أحد بماكسيم؟

ـ لا . . لم يخبرني، يا لإهماله!

ـ ربما لم يرغب في جرح مشاعرك .

نظرت إليس إليه متسائلة :

ـ ليس هذا هو السبب، أليس كذلك حبيبي؟

ظهر الانزعاج على وجه ماكس . اللعنة على بيبيتا! لقد أخطأ خطأ شنيعاً عندما اصطحبها إلى المنزل فهذه المرأة لا تستطيع أبداً منافسة أليس . تناول فنجانه بسرعة فانسكب منه السائل، فقفزت أليس بسرعة :

ـ دعني أنظف هذا، يا عسلي . .

أحضرت فوطة وبدأت تمسح القهوة :

ـ أنت تفعل هذا دوماً يا كعكتي الحلوة وفي كل مرة ينتهي بي المطاف إلى تنظيف ما يتسخ .

قال بوحشية : «أنت تسعين إلى الشجار؟»

ـ لا تغضب مني يا حملي . . كنت مهملاً .

قاطعهما روي : «هذا صحيح يا ماكس، ألق اللوم عليك لا على زوجتك المسكينة» .

أظهرت بيبيتا انزعاجها، فقالت كالآمرة :

ـ فلنذهب ماكس، أجد الجو العاطفي المعسول هنا مثيراً للغثيان .

أظهرت أليس الاهتمام :

ـ ربما عليك أن تستلقي بيبيتا . هل أعدّ لك شيئاً؟ أسبرين مثلاً؟ أو ما رأيك بكوب حليب ساخن لذيذ؟

كان هذا أكثر من قدرة روي على الاحتمال فقهقه عالياً، ثم وقف يضم أليس إليه قليلاً :

ـ يا إلهي، أنت كنز لا يقدر بثمن! عليك يا صديقي أن تحافظ على زوجتك لأنك إن لم تفعل فعلت أنا .

ضرب ماكس فنجانه فوق صحنه . . هذا يكفي! جذب أليس من ذراعي الرجل الآخر بقوة أفقدتها اتزانها فاصطدمت بصدره .

جرها من غرفة الجلوس وعندما وصلا أمام غرفتها رماها فيها ثم ركل الباب خلفه . أما هي فوقفت تتحداه . فجأة التوى فمه، ثم لاحت ابتسامة مترددة على شفتيه، وبدأت كتفاه بالاهتزاز . . إنه يضحك!

لكنها لم تطمئن له، وقالت :

ـ أرفض أن تعاملني امرأة كبيبيتا بتلك الطريقة ماكسيم .

قطع الغرفة ليرمي نفسه على مقعد قرب النافذة .

ـ هذا ما فهمته .

لقد ربحت . يا للماكرة! كيف يمكنه مقاومتها .

ـ أنت خبيثة ماكرة أليس، أتعرفين هذا؟ مسكينة بيبيتا، أقسم بأنها تظن أنني سأعاقبك الآن على طريقتك في مكالمتها .

جلست على سريرها تفرك معصمها . . لقد امّحت المشاعر السيئة بينهما بسرعة، ولكن أثرها اللاذع ظلّ موجوداً . . نظرت إليه بحزن :

ـ لماذا كنت غاضباً مني ماكسيم؟

هبّ عن مقعده ودنا منها ليجلس قربها :

ـ لم أكن غاضباً . كنت محبطاً فقط . هل أذيت معصمك؟

ـ لا . وما سبب الإحباط؟

ـ لقد شاهدت رسالة لصديقتك سالي على طاولة المطبخ . . ولمحت منها سطراً عندما كنت أضعها فوق البراد وفي هذا السطر تطلب منك قضاء عيد الشكر برفقتها .

سألت وملؤها الأمل : «ألا تريد أن أذهب؟»

ـ افعلي ما شئت . ولكنني حتى الآن لم أضع خطة للعيد، وسأكون وحيداً هنا .

تنهد ماكس بصوت مرتفع فدفعته ممازحة في كتفه :

ـ ما هذه القصة الحزينة . . ! أتريد أن أبقى هنا لأطهو لك ديكاً رومياً؟

ـ لا . سأطهو بنفسي ولكنني أحتاجك لتنظيف الصحون .

ـ هكذا إذن!

راقبته للحظات يدلك بأصبعه معصمها ثم قالت :

ـ تلقيت تلك الرسالة منذ أيام وقد رددت عليها قائلة إنني لن أستطيع الذهاب . . لكنني أعدت التفكير في الأمر هذا الصباح لأنني لم أكن أعرف ماذا ستفعل، وماذا عن شجارنا؟

ـ سأمضي العيد إذن مع شريكة سكني . . أما ذلك الشجار فقد انتهى الآن رسمياً . موافقة؟

ترددت قليلاً: «أجل . . لقد انتهى، لكن هناك مشكلة ما تزال بحاجة إلى حل».

سألها بهدوء: «وكيف تريدين حلها؟»

ـ أمامنا أحد عشر شهراً حتى تنتهي مدة هذا الزواج.

ـ أعرف.

التفتت تواجهه وتحاول الكلام رغم الغصة في حلقها: «كان كل شيء على ما يرام حتى . . .»

صمتت غير قادرة على الشرح، فأتم عنها الجملة بصراحة:

ـ حتى عانقتك؟

ـ من المستحسن أن نبقى صديقين.

ـ حسناً أقبل بذلك الآن ولكن حين نتعارف بشكل أفضل قد نصبح شيئاً آخر . .

رفع رأسها يقبل خدها بخفة:

ـ وهذه قبلة صديق . .

ردت بخفة: «عظيم، صديقان الآن وسنبقى صديقين دائماً».

أمعن فيها النظر ثم ابتسم: «سنرى».

لا . . لن نرى! فهي ترفض الوقوع في حبه لأن ذلك سيرميها في هوة سحيقة لا قرار لها وبالنهاية ستجد نفسها وحيدة فخروج ماكس من حياتها مؤكد مثل العقد الذي وقعاه لمدة سنة . .

أطلقت أليس سؤالاً كان يتردد في عقلها:

ـ أتكره حقاً أن أناديك باسمك كاملاً ماكسيم؟

بدا البرود على وجهه: «كان ينادني جدي بهذا الاسم لذا كرهته».

ـ كان عليك أن تخبرني.

تلطفت أساريره، وامتدت يده ترجع خصلة حريرية من شعرها إلى ما وراء أذنها:

ـ ولكن الطريقة التي تنطقين بها اسمي تعجبني فلا تتوقفي أبداً عن مناداتي باسمي كاملاً.

ـ ماذا فعل بك جدك لتشعر بهذا الأسى كله؟

ابتعدت يده عنها ولوت قسوة الذكرى فمه:

ـ لقد غرر بي . . متى تبدأ حفلتك؟

عبست بحيرة: «ما زلت تضرب على الوتر ذاته، أية حفلة؟»

ـ ألا تذكرين؟ الحفلة المفتوحة. اليوم هو الجمعة.

ـ آه، ماكسيم . . قلت ذلك لأنني كنت غاضبة. كما إنني لا أريد دفعة على الحساب.

ـ لكنك تريدين مالاً.

ـ لا أريده، بل أحتاج إليه.

ولم تستطع أن تذكر السبب. ولكن سيأتي وقت تخبره فيه عن السبب دست يدها في يده، دليل الاستعطاف:

ـ هذا أمر مختلف ماكسيم، مختلف جداً . . فهل تصدّق قولي؟

ـ أجل . . سأصدق.

ودفن كل جوعه للأشياء التي لم تشرحها له في نفسه. وقال يدعوها:

ـ رافقينا للعشاء.

واشتدت أصابعه حول أصابعها . .

ـ لا أستطيع . . عليَّ التحضير لاختبار الغد.

ترك يدها وقال:

ـ سأتأخر في العودة، فلا تنتظري.

ـ لن أفعل.

www.elromancia.com

راقبته يتجه إلى الباب.. لقد تعلمت درسها.. سيقبل بها، لكن ليس كزوجة حقيقية لذا لن تنتظره مهما كان السبب.

* * *

٧ ـ خطوات نحو الخطر

بدأ فتور علاقة ماكس وأليس في اليوم التالي على تفاهمهما المشترك. في البداية لم يكن هذا الفتور ظاهراً، فقد توقف ماكس عن التدخين نهائياً، وامتنع عن السهر وخضع بشكل ظاهر إلى كل قيود أليس. وفي الحقيقة، كان كمن تركته الحياة. فهو يستيقظ في الصباح ويتوجه إلى العمل ويعود وليس هناك ما يثير اهتمامه. لم يكن يبتسم، ولكنه لم يكن يعبس أيضاً، واختفى اهتمامه بكل شيء حتى شركته وماله وأصبح عالمه رمادياً محجوباً عنه نور الشمس.. أما الشخص الوحيد القادر على إعادة الألوان إلى حياته فكانت هي ولكنها مشغولة في شق طريقها إلى التخرج بدرجة عالية.

مضى تشرين الأول وحل تشرين الثاني وفي صباح يوم اثنين، أي بعد خمسة أسابيع على علاقتهما الحالية، دخلت اليس إلى المطبخ فوجدته مرتدياً ثيابه. قالت له صباح الخير بهدوء، ثم فكرت ـ كما يحدث دائماً ـ في مدى تعلقها به وسحر رجولته. لقد مر زمن طويل لم تلمس فيه ماكس، وقت طويل طويل ومزعج، ليس جسدياً فحسب بل نفسياً أيضاً. لقد أصبحت تلك الشرارات التي طالما أشعلت علاقتهما الصاعدة والهابطة مفقودة..

قال لها فجأة: «أنا مسافر هذا الصباح إلى كالاغاري».

نظرت إلى ظهره مصدومة. كان ينقل البيض المقلي واللحم من المقلاة إلى طبقين، ولم ينظر حوله حين رمى قنبلته..

www.elromancia.com

ـ كم . . كم ستغيب؟

ـ أسبوعاً على ما أرجو.

جلست ببطء إلى المائدة! أسبوع كامل! إنها لن تتحمل البقاء وحيدة بدونه. لم يكن تصرفهما الأخير مشجعاً ولكن رغم تباعدهما كانت تشعر به فإن لم يكن معها في الغرفة نفسها فهو في مكان ما في الشقة.

وضع الصحن أمامها: «تناولي فطورك».

همست: «لست جائعة».

استقرت عيناه عليها: «هل ستكونين على ما يرام أثناء غيابي؟»

ـ ولماذا تقلق؟ لم تقلق عليّ عندما تركتني في الفترة الأولى أسبوعين.

ـ أليس . .

دفعت كرسيها إلى الوراء وهبّت واقفة.

ـ أعذرني. سأتأخر على محاضراتي. فلتكن رحلتك موفقة ماكسيم.

عندما عادت إلى الشقة في المساء جلست محتبية على الأريكة، تحدق في السقف، حتى استكانت إلى نوم عميق. لم تستيقظ منه إلا عند الفجر البارد، فصعدت إلى فوق تندس في فراشها، بكامل ثيابها. ويوم الثلاثاء لم تذهب إلى الجامعة بل لم تفعل شيئاً يوم الثلاثاء لأنها شعرت وكأنها فقدت شيئاً لن تجده ثانية. أجبرت نفسها على حضور محاضرات الأربعاء والخميس. . ومضى يوم الجمعة وهي تنتظر بيأس سماع صوت مفتاح ماكس في قفل الباب. كان روي يتصل بها كل مساء ليطمئن عليها. . أما ماكس فلم يتصل بها البتة.

لقد أظهر لها غيابه مدى حبها له فلم يكن يشغل أفكارها أحد سواه وكانت تشعر بقلق دائم عليه فتتساءل: أيتناول وجبات ثلاثاً في اليوم؟

أيجهد نفسه في العمل كثيراً؟. كانت فترة من التفكير الداخلي العميق بالنسبة لأليس. . إنها تريد ماكس، وتريد مستقبلها العملي. ولكن أيهما تختار؟ فكرت في الأمن المادي الذي سيؤمنه لها مستقبلها العملي وفكرت في ما قد تحصل عليه مع ماكس إن قبلت العلاقة الحميمة معه. كان خيالها يصور لها البهجة والفرح، ولكنه كان يصوّر لها كذلك العذاب والألم.

علمت أنها ستندم على عدم مشاركتها حياته الزوجية ولو لمدة قصيرة وبسبب هذه الفكرة اتخذت القرار. . ومهما كان قرارها، فقد انتصر قلبها وربح المعركة أخيراً على عقلها. . ماكس هو أمنها ليس مادياً فحسب بل معنوياً أيضاً. بدونه قد تجد النجاح والاستقرار المالي، لكنها ستخسر تلك الروح التي تجعلها مميزة لنفسها، ولماكس وللآخرين. . . المال يمكن توفيره أما الروح فحينما تذهب تذهب إلى الأبد. وهي غير قادرة على التضحية بها من أجل العمل.

استولى هدوء محدد على نفس أليس عندما اتخذت هذا القرار. . وقامت بما أقسمت ألا تفعله منذ ستة أسابيع. انتظرت. . انتظرت مرور الأسبوع وانتظرت عودة ماكس وانتظرت أن يكتمل حبها.

عندما عاد ماكس مساء السبت خرجت أليس من غرفتها مرتدية ثياب النوم فوجدته في أعلى السلم المفضي إلى غرفة الجلوس. كان يرتدي البذلة الرمادية التي كان يرتديها عند لقائها الأول به. بدا مرهقاً ووحيداً فشعرت بأن كل ما في قلبها له يمتد إليه.

ـ ماكسيم!

تسلل اسمه من بين شفتيها بطريقة لا إرادية وتمثلت في كلمة واحدة حاجتها كلها إليه. التفت بحدة وما هي إلا ثانية حتى اجتازت المسافة الفاصلة بينهما وأصبحت بين ذراعيه، تهمس له، وتتعلق به بشدة:

ـ اشتقت إليك كثيراً ماكسيم، أرجوك لا تتركني ثانية. . لا. .

وانقض عليها ليكبح آخر كلماتها فشدت جسدها إليه. كانا الآن رجلاً وامرأة، زوجاً وزوجة.

ضاعا في قوة حبهما المنطلق من عقاله، حتى كادا لا يعيان ما تسير عليه الأمور.. وانتهى بهما الأمر في غرفة أليس.. ضمته إليها تعقد ذراعيها حوله وتكبح الآهات المتصاعدة من أعماق قلبها التي كانت تدفعها إلى الانطلاق ملايين الأحاسيس المعتملة في قلبها اليقظ. ولم يكن هناك مجال للتراجع، فجأة لم يبق في نفسها شيء إلا الحب والرغبة في أن تصبح له زوجة حقيقية. تمتمت:

- لقد ربحت ماكسيم، سأكون لك الوقت الذي تريده.

تجمدت كل عضلة في جسده، ثم قبض على يديها يرفعهما فوق رأسها، ويصيح بها.

- ماذا تعنين بأنني ربحت؟

جعلها الارتباك عاجزة عن الحراك.

- أنت قلت.. إنك.. أليس هذا ما تريده؟

لعن وشتم:

- لا أبحث عن تضحية أليس.

صاحت به: «أريد هذا أنا أيضاً».

- أنت لا تعرفين ما تريدين.

- بلى أعرف.

لكن ماكس كان يهم بالخروج من الغرفة ولم يسمع ردها:

- بل أعرف ما أريد.. أحبك ماكسيم. أحبك حباً جماً.

رمت نفسها على السرير، تشد الأغطية فوق جسدها المرتجف.

تعالى رنين الهاتف عدة مرات قبل أن يخترق الصوت أخيراً بؤس أليس.. ارتدت روباً، وخرجت على مضض تلتقط سماعة الهاتف في المطبخ. لتسمع:

- آلو.. أليس، هذا أنا.. تشارلز.. أنا في لوس أنجلوس. كيف حالك؟

- آه تشارلز أفضل ألا أتحدث الآن. لقد وقع بيني وبين ماكس جدال منذ برهة وقد تركني هذا الجدال منزعجة متكدرة. هلا اتصلت بي غداً؟

بدا الإحباط في صوت تشارلز: «معركة أخرى؟»

- نحن نتشاجر دائماً.. سأتصل بك في الغد تشارلز وداعاً.

علقت السماعة، ناسية أنها لا تعرف رقم المكان الذي يقيم فيه.. كانت الشقة صامتة. لقد خرج ماكس مجدداً. عادت إلى غرفتها، لتخلع الروب وترتدي فستان نوم من الفانيلا يصل طوله إلى الأرض. ودخلت إلى الجانب البارد من فراشها، ورأسها يضج بالألم.

بعد ساعتين لم يغمض لها فيهما جفن ترجلت عن السرير وتوجهت إلى المطبخ لتسخن بعض الحليب الذي قد يساعدها على النوم. ولكن حين عادت إلى غرفتها، وأقفلت بابها، تسمّرت في مكانها فقد وقع بصرها على المفاجأة التي تنتظرها، وصاحت مصدومة:

- ماكسيم! ماذا تفعل في فراشي؟

كان مستلقياً على وجهه، ورأسه بين ذراعيه:

- أنام.. لا تفتعلي معركة أخرى معي الليلة أليس.. فأنا لا أريد إلا النوم.

أحست بالسخط: «أنا لا أختلق المعارك بل أنت من يفعل ذلك».

- ماذا تفعلين الآن إذن؟

- أقول لك فقط..

صمتت محبطة، وعيناها مشدودتان إليه. رفعت كتفيها مصممة:

- اسمع ماكسيم. لا تستطيع النوم هنا هذا كل ما سأقوله.

وفكرت خاصة بعدما رفضتني.

لا جواب.. سارت أليس لتلتقط مشبك شعر، وخزت به كتفه،

www.elromancia.com

فاضطجع على جانبه منزعجاً.

ـ ما هذا بحق الله؟

ـ ماكسيم أخرج من فراشي!

غاص رأسه فوق الوسادة مجدداً:

ـ سأنام فقط أليس وستبقى طهارتك آمنة.

ابتعدت عنه، وكادت تتعثر بثيابه على الأرض.. التقطتها لتنفضها: «لست مرتباً أبداً».

رمت الملابس على كرسي، ثم استدارت ثانية، تنظر باشتياق إلى وسادتها.

ـ إن تركتك تنام هنا فهل تعدني بالتزام جهتك من الفراش؟

ـ أعدك.

ولكن رده لم يرضِ أليس فراحت تهمهم بكلمات غير مفهومة وتسللت بحذر إلى جانبه، وهي تدفع أطراف غلالة نومها الطويلة حول كاحليها. عندما لم يتحرك ماكس، أطفأت المصباح الصغير قرب السرير متوترة. ها هي هنا.. حيث يريدها. غير أن كل ما يفعله هو النوم.

ـ احذري الوقوع عن السرير!

قطع صوته الناعس المرح سكون الظلام، فردت بحدة:

ـ ولماذا أقع؟

ـ أنت قريبة من حافة السرير لذا خشيت أن تقعي.

كبتت غضبها: «وهل تستمتع بهذا؟»

ـ أجل.. إنه سرير مريح. تصبحين على خير.

انطلق إحباطها من أسره:

ـ لا تقل لي تصبحين على خير يا ماكسيم هاوتورن!

التقطت وسادتها وضربته بها على معدته، فانتزعها من يدها والتفت إليها وسأل ضاحكاً ورأسه لا يبعد عن رأسها إلا إنشات فقط:

ـ أثمة ما يزعجك؟

وضعت يديها على خصره، وهمست له في الظلام:

ـ ولا أريد أن أكون مجرد تضحية، بل ما أريده هو أن أصبح زوجتك.

ـ وأنا كذلك.

ـ إذن، لماذا لم تفعل هذا قبل الآن؟

أمسكت يده الضخمة مؤخرة رأسها:

ـ يحتاج كلانا مناقشة هذه العلاقة بوعي يا أليس لأنها قد لا تدوم.

ـ كنت واعية كل الوعي أثناء غيابك، وأنا أريد هذه العلاقة ماكسيم.

ـ إنها ليست لعبة ربحتها أليس.

ـ ما من لعبة. إنها مجرد صداقة وطيدة.

ترى هل فضحت أحاسيسها، وهو الآن يأبى أن يتورط، ويخشى أن تتعلق به حين يقرّر إنهاء علاقتهما؟

قال بصوت هادىء، حتى كادت لا تسمعه:

ـ عندي أيضاً مشاعر ومخاوف أليس، فهل تمهليني الوقت حتى أتبينها.

خفق قلبها بحب لضعفه هذا.

ـ سأمهلك ماكسيم. ولكن إلى متى؟

سألها ممازحاً، ليخفف ثقل العاطفة بينهما:

ـ أتظنين أن بإمكاننا الانتظار ليلة أخرى؟

ـ سنحاول..

شبكت أصابعها بشعره تشد رأسه إليها.. فتمتم:

ـ أتسمين هذا.. محاولة؟

ـ بل أسميه قبولاً.

www.elromancia.com

ارتدَّ عنها «وأنا أسميه عذاباً أليس».

كانت قد وضعت رأسها على كتفه فشعرت بأنفاسه حارة على جبهتها فردت ناعسة: «هه؟»

ـ اشتقت إليك كثيراً.

أزال اعترافه كل شك في صحة قرارها وحكمته، تكورت بين ذراعيه سعيدة وقانعة وكأنها اعتادت على هذا منذ سنوات، وغطت في النوم.

هل أيقظتها أشعة الشمس الحارقة أم يده التي اتخذت طريقاً إليها؟ صفعت صدر ماكس براحة يدها وابتعدت عنه..

ـ لا تفعل هذا ماكسيم، تعرف أننا لن نستطيع ضبط أنفسنا إن وصلنا إلى مرحلة معينة!

رد بكسل:

ـ أحببت الاستيقاظ وأنت إلى جانبي.. عانقيني عناق الصباح أليس.

قاومت ضغط يده بضع لحظات، ثم ذابت بين ذراعيه فجأة، التفت ذراعاها حول عنقه وقال لها مهدداً من بين أسنانه:

ـ إذا بقيت هكذا، فلن ننتظر!

انتزعت نفسها منه، وما هي إلا لحظة حتى كانت واقفة على السجادة وأنفاسها غير ثابتة. ترجل ماكس عن السرير واتجه إلى الحمام:

ـ أحضري لي بعض الملابس أرجوك حبيبتي!

أشاحت أليس وجهها عنه. سيكون هذا اليوم طويلاً جداً..! وقد أمضياه وكل منهما يتجنب الآخر ولكن ما إن حل المساء حتى جاء ماكس من خلفها. وكانت هي في هذا الوقت تفكر.. لماذا يحتاج إلى يوم إضافي؟ لقد قالت له إنها مصممة.. فلماذا لا يتقبل هذا؟ ولماذا لا يستقر على رأي؟ لامست يده كتفها فانتفضت. قال هامساً والتوتر بارز في صوته:

ـ لا أستطيع الانتظار أكثر.

دارت بين ذراعيه: «ولا أنا».

لا مجال للتراجع. إنها ترغب في زوجها.. وهي تريده الليلة بل حالاً!

رن جرس الباب فأطلق ماكس الشتم والسباب أما أليس فتنهدت سائلة: «ترى من القادم؟».

مرر يده على ظهرها يشدها إليه:

ـ لا أدري، ولا أعبأ.. لدينا ما هو أهم.

رن جرس الباب مجدداً: «ماكسيم علينا أن نرى من الطارق».

ـ لا..

ـ ربما هو مدير المبنى ولولا ذلك لأعلن الحارس عنه.

ـ إذن، فليذهب المدير لإزعاج سوانا. نحن مشغولان.

ـ ربما الأمر مهم.

ـ اللعنة أليس!. لقد ردعنا أنفسنا مراراً وكان يعقب ذلك في كل مرة الإحباط والغضب، فهل تريدين الإحباط من جديد؟

ـ إنه يعرف أننا هنا ماكسيم.

أثبتت رنّة ثالثة صحة كلامها.. فسحبت يديها من خلف عنقه على مضض.

ـ دقيقة واحدة وأتخلص منه.. لا تستطيع إتمام ما تفعله وجرس الباب يرن باستمرار.

ـ دقيقة واحدة إذن مهما كان الطارق.

وكان تشارلز ويندورث في الباب فحدقت أليس إليه بدهشة: تشارلز!

حضنها بشدة: آسف على تطفلي ولكنني لما وصلت إلى المدينة فكرت في المجيء لأرى منزلك الجديد قبل التوجه إلى المطار لألحق

www.elromancia.com

بطائرتي.

ـ شكراً لك تشارلز، ولكنك لا تحتاج إلى عذر لتزورني.

تناهى إليهما صوت ساخر:

ـ خاصة إذا كان العذر واهياً كهذا.

تقدم ليقف قربها، قائلاً:

ـ أنا ماكس، زوج ابنتك بالعمادة: وأتمنى ألا تطيل المكوث.

ـ ماكسيم. إنه عرّابي.

ـ ألم أقل مهما كان الطارق أم تراك نسيت؟

وقفت حائرة مترددة، ممزقة ما بين الرغبة في البقاء بين أحضان زوجها وما بين واجبها نحو ضيفهما غير المتوقع وتفوقت أخلاقها الحسنة وقالت وهي تتمنى أن يتفهم وضعها:

ـ على ذاك الأمر الانتظار ماكسيم. أنا آسفة.

ـ أمر غريب.. لا تبدين آسفة أبداً.

صاحت به لأنها انزعجت من اعتقاده بأن رغبتها فيه غير عميقة:

ـ ماكسيم يجب أن تعرف أنني أشعر بما تشعر به تماماً.

ـ صحيح أليس؟

نقل تشارلز بصره في ما بينهما: «هل وصلت في وقت غير مناسب؟».

رد ماكسيم: «إنه خلاف عائلي، فلا تزعج نفسك به، لأنه يتكرر يومياً أما في الآحاد فمرتين».

شدت أليس عرّابها إلى الداخل:

ـ لا تهتم به تشارلز.. تفضل إلى غرفة الجلوس.. ماذا أقدم لك؟

ـ فنجان شاي. الطقس بارد في الخارج.

رافقهما ماكس، وظل يصغي إلى حديثهما عن آخر رحلة لتشارلز.. ولم تثق أليس بصمته، خاصة وعلى وجهه تلك البسمة

الخفيفة.. لاحظ ماكس إحدى نظرات الريبة فمرر نظره بسرعة على جسدها بشوق.. فتحركت بقلق.. تباً له! إنه يغويها بعينيه!

سألت أليس عرابها:

ـ وإلى أين ستسافر الآن تشارلز؟

ـ إلى إيطاليا.

سأل ماكس بأدب جمّ: «لا شك من أجل المزيد من العمل؟».

ـ دائماً العمل.

ـ وهل كنت مسؤولاً عن اختيار أليس اختصاص الكمبيوتر؟

ـ لأليس رأيها الخاص.. أنا أقدم لها النصيحة فقط.

ـ وهل قدّمت لها النصائح في ما يتعلق بميزات زواجها بي؟

ـ عرف تشارلز بأمر زواجنا عندما كنا في المطعم.

ـ آه، لقد نسيت.

ـ أنت لم تنس بل تحاول تعسير الأمور فقط.

برقت عيناه: «وهل سيقوم بيننا شجار آخر؟»

قاطعهما تشارلز على عجل:

ـ لا.. انتظرا..

لكنهما تجاهلاه، وقالت أليس بلهجة خطيرة:

ـ أنا مستعدة للشجار متى شئت ماكسيم!

ـ عظيم.. ما رأيك لو نعيد النظر في اتفاقنا المتعلق بمصروفك نظراً لمشاركتك المحدودة بهذا الزواج..

وقفت بسرعة تقاوم دموعها:

ـ أستحق أكثر بكثير مما تستطيع أن تدفع.. أكرهك ماكسيم هاوتورن! أنت لئيم شرير متعجرف. ليتني لم أتزوجك!

وهرعت إلى غرفتها تصب دموعها على سريرها. بكت وبكت بكت أبويها اللذين لن تراهما مجدداً وبكت صهرها ديك، اللطيف الحالم،

www.elromancia.com

وبكت معاناة شاني وبكت الصغيرة غريتا وجديها. . وبكت. . وبكت نفسها. إنها فارغة. . فارغة. . تحتاج إلى ماكس ليملأ عليها حياتها باهتمامه ومزاحه وإزعاجه ووجوده الدائم، آه، يا الله! لماذا لا يحتاج إليها هو أيضاً؟ لماذا لا يحبها؟ سيحصل على الكثير منها حتى نهاية العمر.

ـ أليس.

إنه هنا. . يجلس على حافة السرير، يديرها ويرفعها لتجلس في حضنه. راح يهدهدها بين ذراعيه بلطف.

ـ لم أعن ما قلت أليس. . لم أعنِ. . أرجوك لا تبكي. . حبيبتي أنا نذل وأقول أشياء كثيرة لأخفي مشاعري الحقيقية ولكنني لا أعني ما أقول.

التفت ذراعاها حول خصره ودفنت وجهها المغرورق بالدموع في كتفه.

ـ أعرف. أعرف أنك لم تعنِ ما قلت ماكسيم وأنا كذلك لم أعنِ ما قلت.

ـ أعرف حبيبتي.

تعلقت به، خائفة من أن تكون المرة الأخيرة التي تحضنه فيها. دلكت يده ظهرها تطمئنها. أخيراً سحبت نفساً عميقاً، وابتعدت عن صدره، لتسأله بهمس منكسر خفيض: «ماذا نفعل بأنفسنا ماكسيم؟»

ـ نفعل الكثير ولكننا لا نصل إلى نتيجة، فكلما تقدمنا خطوة إلى الأمام رجعنا خطوتين إلى الوراء.

أخذت منه منديل الورق ونفخت أنفها: «أين تشارلز؟»

ـ تخلصت منه ولكنه قبل ذلك ألقى علي صفات غنّاء عن مساوئي وعيوبي الحقيقية منها والخيالية.

رفعت بصرها إليه دونما تردد أو قلق:

ـ إذن. . فلنفعل ما هو صواب ماكسيم.

لامس فمه ببطء وجنتيها فغضت نظرها لا تردداً بل خجلاً. . وأطبقت أصابع طويلة سمراء على يديها ترفعهما إلى صدره العريض ليقبل كل أنملة على حدة ثم لثم راحتي يديها فمعصميها.

سرت ألسنة النار من يديها إلى ذراعيها وظلت تتصاعد وتنتشر مطلقة معها البهجة والفرح. . .

عمت الظلمة الغرفة ودثرتهما بعباءتها. عقدت أليس ذراعها على خصر ماكس، وهو يجذب الغطاء فوقهما. . وقال بصوت أجش: «هل أنت على ما يرام؟»

ـ أجل. .

ران صمت قصير قطعته بهمسها:

ـ علينا الآن أن نسعى إلى طلاق، لا إلى إبطال زواج.

سحقتها ذراعاه: «نامي أليس ولا تتفوهي بكلمة أخرى. اتفقنا؟».

ـ اتفقنا.

نامت على صدره. لقد كان ماكس نهارها وها قد أصبح ليلها. .

* * *

٨ ـ جائعة إلى الحب

تحركت أليس، وبدأت تتمطى في فراشها ثم أصبحت فجأة واعية. أدارت بصرها إلى اليسار فرأت رأس ماكس الأشقر على الوسادة بقربها. فغمرها إحساس بالسعادة غريب وتغلغل إلى كيانها كله. تراجعت عن ماكس وهي تشعر بنشاط غامر وتركت السرير.

غيّر ماكس وضعيته في الفراش، وتمدّد على معدته، ماذًا ذراعه إلى الفراغ الذي تركته منذ برهة. تمتم شيئاً وهو نائم، ثم تحركت الذراع بقلق.. أيبحث عنها؟ انتظرت لترى ما إذا كان سيستيقظ ولكنه ضم وسادتها تحت ذراعه ودفن وجهه في دفئها الناعم.. ابتسمت ابتسامة ملؤها الحب ثم توجهت إلى الحمام حيث راحت تراودها الأفكار والشكوك. هل ندمت على ما فعلت؟ هل فعلت الشيء المناسب؟.. لا هي لم تندم لأن ما جرى كان كل ما أملت به وتاقت إليه. فأخيراً قامت وهي وماكس بعين الصواب.

أنتها التحية الهامسة من ورائها، فرفعت نظرها إلى الصورة التي انعكست في المرآة. كان ماكس يتكىء إلى إطار الباب..

ـ أليس انظري إلي.. لم يكن ما فعلناه غلطة.. أليس كذلك؟

ـ ماكسيم، لا بالطبع لا. لكن الساعة قد تجاوزت الثامنة وستتأخر عن عملك. سأذهب لأعد لك الفطور أما أنت فاستحم وهيىء نفسك.

وفيما كانت عند باب الحمام، سيطر عليها تهور مفاجيء.. كان ماكس يتناول منشفتين عن الرف، فعادت بسرعة تقبله.

ـ صباح الخير ماكسيم.

ثم خرجت بسرعة قبل أن ترى الابتسامة التي غطت وجهه.

وبعدما أنهى فطوره انحنى ماكس يقبلها مودعاً، ويسألها بخفة:

ـ هل ستكونين هنا حين أعود؟

تبادلا النظرات وهما يعرفان السؤال المتبقي الذي يراوده.. فهو يخشى أن تكون صفحة علاقتهما الجديدة قد تجاوزت الحدود بالنسبة لها.

ردت بهدوء مطمئن: «سأكون هنا ماكسيم أعدك».

بدا الارتياح في عينيه: «عظيم، عانقيني إذن».

عانقته بسرعة ثم انطلق.

أمضت أليس يومها في سعادة غامرة فلم تذهب إلى الجامعة ولم تدرس بل قضت النهار في إعداد أكلات خاصة للعشاء.

ارتدت أليس أفضل ما عندها ثم هيأت نفسها لوصوله ولكن الساعة بلغت السادسة وهو لم يصل بعد ولما أصبحت الساعة السادسة والنصف فكرت في أنه قد يتأخر قليلاً.

ومضت ساعة أخرى فشعرت أليس بالقلق، فراحت تذرع الغرفة طولاً وعرضاً. أن ينسى عيد ميلادها أمر مفهوم أما أن ينسى عيد ميلاده هو فغريب. ولكن هل ذهب ليحتفل مع شخص آخر؟ مع أمينة صندوق الشركة مثلاً؟ وماذا تفعل بالطعام الذي عانت كثيراً حتى أعدته؟

في التاسعة، رمت الطعام البارد في البراد وفي الحادية عشرة أوت إلى فراشها وبعد منتصف الليل بثلاث دقائق دخل ماكس إلى الغرفة فصاحت: «ماكسيم».

ـ إنه وقت النوم.. بل تجاوز الوقت، ويجب أن أنام.

وصل إلى حافة السرير حيث تهاوى بثقله على الفراش قربها.. نظرت إليه ساخطة، تهز كتفه: «أنهض حباً بالله..»

مدت يدها بحنان مفاجيء تمسح شعره عن جبينه:

ـ ماكسيم حبيبي الجميل. ماذا أفعل بك؟

ولم تفعل سوى مساعدته في خلع ثيابه.

ـ ماكرة، ساحرة، لعينة مغوية. أريد أن أعانقك.

ولكنها شعرت أنه نائم أكثر منه صاح.. فسامحته على نسيانه عيد ميلاده واندست بين الأغطية تنضم إليه، تمسك يده بيدها، هامسة:

ـ عيد ميلاد سعيد ماكسيم.

ولكن فرحتها تلاشت في اللحظة التالية، وحل محلها الإذلال وذلك بعدما تحرك ماكس متمتماً باسم مألوف.. جلست في السرير غاضبة. إذن، يعتقد أنه في الفراش مع بيبيتا؟

رفعت يدها وأهوت بها إلى معدته فتأوه ألماً واحتجاجاً وهو نائم.

قالت غاضبة: اللعنة عليك!

وقفزت من السرير بغضب: هذا إذن سبب قوله لها أعطيني المزيد من الوقت أليس! ففيما كانت تنتظره بأناة ليتبين مشاعره كان يختبر هذه المشاعر مع صديقته السابقة، أو عشيقته. ولا شك الآن في أنه كان يحتفل بعيد ميلاده مع بيبيتا ميتشل..

أحست بالألم وبالكره لنفسها وله. مالت إليه تنتزع الوسادة من تحت رأسه، ثم وسادتها، واللحاف ثم تركته مغطى بالشرشف العلوي فقط. وقالت لجسده النائم:

ـ أرجو أن تتجمد من البرد حتى الموت!

توجهت إلى غرفة الراحة واستلقت فوق الأريكة، ولكنها لم تتمكن من العودة إلى النوم بل أمضت الساعات التالية صاحية تفكر في الانتقام من زوجها الغبي، المقرف، الظالم.

كان الصباح التالي الثلاثاء، فاستيقظت أليس متأخرة وهي تقول لنفسها: «أكرهه».

عادت إلى غرفتها تجر وراءها اللحاف والقطين اللعوبين وهناك وجدته متمدداً فوق سريرها باسطاً ذراعيه والشرشف يلتف حول قدميه، فنظرت إليه نظرة قاتمة، ورمت ما في يدها فاصطدم بشدة بأبواب الخزانة.. تجاهلت آهته الخافتة، وجذبت حقيبة، وبدأت ترمي الملابس فيها.

ـ عودي إلى الفراش.

التفتت إليه عندما سمعت الكلمات الخشنة فوجدته صاحياً يراقبها باهتمام. فتصاعد السخط في نفسها ورمته بكنزة، ولكنها وقعت بعيداً.

فقال ساخراً: «تفتقرين إلى التمرين».

ـ وأنت تفتقر إلى الأدب واحترام النفس، ثم أنت في فراشي.

ـ إذن تعالي واطرديني منه!

تابعت أليس عملها بغضب.

ـ وإلى أين الذهاب يا ترى؟

ـ إلى الخارج.

ـ لن تذهبي قسماً بالله.. ابعدي هذه الحقيبة.

نظرت إليه بكراهية: «حاول منعي».

ترجّل إلى الأرض، ومرر يده على وجهه، وقال بصوت يكاد يكون مخنوقاً:

ـ بقايا صداع خفيف لن يجعلني غيرَ قادر على لجمك أليس..

طار زوج من الجوارب في الهواء نحوه:

ـ لجمي؟ لست حيواناً لتلجمني! واعلم أنني نمت في غرفة الراحة ليل أمس بعدما دفعتني خارج فراشي الخاص..

اعتلت تقطيبة حاجبيه: «في غرفة الراحة؟»

ـ أجل.. غرفة الراحة. وفي المرة القادمة عندما تكون متعباً مرهقاً، توجه إلى فراش غيري..

رفعت رأسها بكبرياء وهي خارجة من الغرفة، بقدر ما يسمح لها به فستان نومها الطويل، والحقيبة الثقيلة.

***

في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم التالي، وصلت سالي ديمبستر إلى منزل لوسي صديقة أليس التي قصدت منزلها بعد شجارها مع ماكس.

شعرت سالي بعدما أصبحت في منزل لوسي بأن صديقتها تعاني من خطب ما فسعت تستوضحها وفي الواقع ما هي إلا فترة وجيزة حتى دفعت أليس للتفوه بمتاعبها كلها. صاحت لوسي عندما انتهت القصة:

ـ يا له من جريء وقح. له عشيقة وزوجة؟ الرجال أنانيون فعلاً.

كانت سالي تنظر إلى أليس مفكرة.

ـ إنها قصة مثيرة جداً للاهتمام. مثيرة حقاً.. ماكس الذي تتكلمين عنه، لا يشبه أبداً ماكس الذي أعرفه.

ردت أليس بامتعاض «ألم تقولي إنه بارد؟»

ـ هذا ما قلته.

ـ إذن فهو مثل ماكس الذي تعرفينه.. صمم على إغوائي وما إن نجح حتى رماني.

ـ إن حبه للقطط، والبسط الأفغانية، ولطبخك يبعده عن برودة القلب.

ـ كان يتظاهر فقط بحبها، ثم ما بال طبخي؟

ـ إن لم يقل لك ماكس فسأمتنع بدوري..

قالت لوسي:

ـ وماذا عن طريقته في معاملة أليس؟ إن ذلك يعني شيئاً.

التقطت سالي موزة من سلة الفاكهة:

ـ أنت على حق يا لوسي هذا يعني شيئاً.. يعني أنه مسلوب اللب بها

تماماً..

نظرت إليها الفتاتان بدهشة، وهمست أليس: «لا».

ـ بلى.

فقالت لوسي بريبة كبيرة:

ـ لا أدري. أليست كلمة مسلوب اللب قوية؟ شخصياً أميل إلى القول إنه يحبها.

ـ قالت أليس معترضة: ولكنه كان مع بيبينا تلك الليلة.

سألتها سالي: «وهل أخبرك ذلك بنفسه؟»

ردت بعناد: «لقد تفوه باسمها في منامه».

قالت سالي: ربما له عذر. لماذا لم تسأليه عن سبب تغيبه البارحة. أما زعمك بأنه لا يحبك فأرفضه لأنني أراه يحبك. يا إلهي تصوري ماكس ينظف الفرن. ماكس يمتنع عن التدخين من أجلك، يطعم القطين وماكس يعاشرك!

توقفت سالي هنيهة عن الحديث ثم أردفت: «سأتصل به».

دارت أليس حول الطاولة لتمسك ذراع صديقتها:

ـ لا! أنت لا تفهمين سالي..

ـ أتحبينه عزيزتي؟

ـ أجل.. لكن..

ـ وهو يحبك، أقسم لك أنه يحبك! وإن لم يكن يحبك فسأجعله يحبك.

هبطت يد أليس إلى جانبها، أمحقة سالي يا ترى؟ أيحبها ماكس حقاً؟ إذا كان يحبها حقاً فقد ظلمته كثيراً بسوء ظنها، ولا شك في أنه غاضب منها لأنها تخلت عنه بدون سبب وجيه.

نقلت سالي الهاتف إلى المطبخ وجلست أليس قربها وقالت لها بعزم وتصميم.

ـ لا تقولي له إنني أريد رؤيته . . قولي فقط . .

لوحت سالي بيدها تصمتها :

ـ مرحباً ماكس . أنا سالي ديمبستر ، صديقة زوجتك الوفية .

رفعت حاجبيها دهشة وغطت السماعة بيدها .

ـ لقد قال لي كلاماً لطيفاً! هذا قطعاً ليس ماكس الذي أعرفه .

ـ أجل . . أنا معك اسمع ماكس . . أنا أمثّل الآن أليس . بالنسبة لفراقكما ، إنها تريد أن تعرف وضع اتفاقيتها معك حالياً . . حسناً . . لا بأس ، سأصوغ السؤال بطريقة أخرى . . أتريد أن تعود أم لا؟

همست أليس ساخطة ، تحاول انتزاع الهاتف منها . .

ـ سالي!

غطت الصهباء السماعة ثانية : «يقول إنه يريدك» .

ـ ماكس هل لصديقة تهتم بأمر أليس أن تستوضحك عن نواياك؟

انتشرت ابتسامة بطيئة على وجهها وهي تستمع .

ـ أتعلم . أنت لست سيئاً أبداً . نصف ساعة إذن؟ ستكون مستعدة . . وداعاً!

سألت أليس : «هل بدا ملهوفاً؟»

نظرت إليها منتقدة : «أبداً» .

لم يبدُ ملهوفاً إذن! وغاصت معنويات أليس إلى الحضيض فقالت بعناد : «لا أريد رؤيته» .

شجعتها لوسي بلطف تدفعها إلى غرفة النوم :

ـ بالطبع تريدين رؤيته . نصف ساعة ، أهذا ما قلته سالي؟

ـ هذا ما قلته ، مع أن ماكس قال ربع ساعة ، إنه رجل غير صبور .

ـ ربع ساعة!

طارت أليس نحو حقيبتها تبحث فيها :

ـ لم أحمل معي ثياباً مناسبة . آخ ، سالي .

ـ اهدئي حبيبتي .

وما هي إلا دقائق حتى كانت أليس مرتدية سروالاً أزرق وبلوزة بيضاء .

سألت بعدما أصبحت جاهزة : «هل أبدو على ما يرام؟»

ردت سالي بخفة : «ستجتازين الامتحان» .

رن هاتف المدخل فنظرت أليس إليه من باب غرفة النوم . هل سيكون ماكس مسروراً باستعادتها؟ أم تراه بدل رأيه بشأن منح علاقتهما فرصة؟

أعلنت لوسي : «إنه قادم إلى هنا . جاهزة؟»

ـ لا . .

ردت سالي بحزم : «بلى» .

ـ يا الله . لا شك في أنه ارتقى الدرج راكضاً .

ذهبت تفتح له الباب فقالت أليس :

ـ سالي . . ماذا لو أنه . .

ـ اصمتي . . إن لم تخرجي إليه فقد يدخل إليك هنا . هيا تحركي .

كان ماكس يقف في وسط غرفة الجلوس ، يتحدث إلى لوسي حين برزتا من غرفة النوم . . توقفت أليس في الباب وشعرت بشوق غامر إلى رمي نفسها بين ذراعيه . قال وهو يتناول الحقيبة من يد سالي :

ـ أعطني هذه .

همست أليس مترددة : «ماكسيم» .

مد لها يده الأخرى مبتسماً ، وقال : «فلنعد إلى البيت» .

عندما وضعت يدها في يده أطبق أصابعه بقوة عليها ثم قال لصديقتيها : «شكراً لكما ، أدين لكما بواحدة» .

قالت سالي : «حافظ عليها هذه المرة»

ـ أنوي أن أحافظ عليها .

www.elromancia.com

فكرت أليس بوعده طوال طريق العودة الى المنزل. ولكنها تساءلت لماذا هو الآن صامت متحفظ؟ لماذا لا يقول ببساطة «أحبك أليس وأريد أن نبقى زوجين إلى الأبد؟» أو لماذا لا يقول مثلاً: لا أستطيع العيش بدونك، أو أنني كدت أموت من الوحدة أثناء غيابك عني.

وفيما هما في المصعد تكلمت أليس:

ـ هل أطعمت القطين أثناء غيابي؟

ـ أطعمتهما ولكنني تلقيت خدوشاً منهما. فهل تقبلينها لتتحسن؟

مد راحة يده ليعرض عليها جرحاً أحمر اللون. أمسكتها أليس بكلتا يديها، ولامست شفتاها الجرح.. كيف تمكنت من ترك هذا الرجل الذي لا يقدر بثمن مدة يومين؟ إنه ضروري لاستمرار حياتها كالماء والهواء.

همست فوق راحة يده:

ـ ماكسيم، أنا آسفة. كان عليَّ أن أكلمك لينجلي كل شيء أولاً. الهرب هو طريق الجبناء.

ارتفعت أصابع اليد الأخرى في حركة أصبحت مألوفة ليرجع خصلة من الشعر إلى ما وراء أذنها: «ستتكلم في هذا لاحقاً».

كان قريباً منها، قريباً جداً منها. أمسكت بيده لتضع شفتيها على راحتها، وأعقبت تصرفها هذا بنظرة حالمة إلى وجهه.. فنظر إليها وعيناه تلمعان:

ـ من المؤسف أن المصعد وصل إلى طابقنا ولولا وصوله لجعلتك تدعمين ما فعلت بشيء آخر.

انفتحت أبواب المصعد، فدفعها بلطف إلى الخارج: «تحركي بسرعة أليس».

سألته تتصنع البراءة: «لماذا؟ لستُ على عجلة من أمري».

ـ أتفضلين أن يتم الأمر هنا في الممر؟

ـ ماكسيم!

ورمى ذراعه حول كتفيها ضاحكاً ثم توجه معها إلى شقتهما. ما إن دخلا، حتى رمى ماكس الحقيبة، ثم استدار إليها لتتلقفها ذراعاه.. وحملها إلى غرفته ليوقفها قرب السرير.. كانت ذراعاه قاسيتين حولها، تثبتانها إليه.. فرفعت رأسها تنظر إلى شفتيه، ولكنها تذكرت أن هاتين الشفتين نطقتا باسم امرأة أخرى فتألمت. دفعته قليلاً لتبعد ذراعيه عنها. فهما الآن بحاجة إلى الحديث لا فيما بعد.

سألته، تنظر متسائلة إلى عينيه:

ـ لماذا تأخرت في العودة إلى المنزل ليلة الاثنين ماكسيم؟

أمسك بوجهها بين يديه، وقال: «ببيتا ميتشل».

وضع اصبعه على فمها ليمنعها من الكلام، وأكمل:

ـ اكتشفت بمعاونة الشرطة أنها شريكة في اختلاس الشركة..

تحرك إصبعه على شفتيها وعيناه تلمعان بأصبعه:

ـ وعوضاً عن العودة إلى زوجتي قضيت الوقت في التحقيق.

التفت ذراعاها حول خصره تحضنه: «آه، ماكسيم! هل ستذهب إلى السجن؟».

تراجعت إلى الخلف تنظر إليه: «أنت لا تحبها، أليس كذلك؟»

ـ يا إلهي.. لا.. بالطبع لا.. ظننتك تعرفين هذا.

قالت ساخرة من نفسها:

ـ لا ماكسيم لم أكن أعرف.

هز كتفيه العريضتين، بطريقة تبدد كل ذرة غيرة، وقال:

ـ رافقتها إلى بضعة حفلات عمل مكرهاً.

ـ لكنك نطقت اسمها في منامك تلك الليلة.

رفع حاجباً ساخراً أمامها: «إذن كنت أرى كابوساً. لا تقولي إن الغيرة سبب هروبك إذن؟»

ردت غاضبة: «وماذا تظن إذن؟»

ـ ظننتك غاضبة بسبب عودة زوجك بعد منتصف الليل، مرهقاً.

ـ على زوجي أن يفعل ما هو أسوأ من هذا بكثير ليجعلني أرحل.

ابتسم:

ـ سأتأكد من ألا يفعل ذلك أبداً، لأنه بحاجة إلى زوجته وبيته.

أمسكت باليد التي ما تزال على خدها، وسألت بحيرة:

ـ صحيح ماكسيم؟

التقت نظراتهما، ورأت الكلمات تتصارع للخروج.. ولمعت عيناه بلهيب سريع قبل أن تهدأ وحين تكلم، كانت كلماته مختلفة عما رأته في عمق عينيه الزرقاوين:

ـ رأيت قالب حلوى. فما مدى المتاعب التي سأقع فيها لإفسادي عليك مفاجآتك تلك الليلة؟

ـ حسناً. لو قبلتني تسعة وتسعين مرة.. قد.. مجرد قد.. أسامحك.

ـ تسعة وتسعون.. هه؟ أظنني قادراً على هذا..

ـ من الأفضل أن تسرع.. لقد مضى يومان كاملان لم أتلق فيهما منك شيئاً.. وقد أموت جوعاً.

ـ هذا مستحيل.. سأنقذك في آخر لحظة.. أعدك أليس! أعدك!

فجأة تلاشى من نفسيهما كل قلق وعدم استقرار ولكن ظلَّ في نفسيهما قلق وخوف من أن يتواجها مع الحب الحقيقي وجهاً لوجه ويتركانه يقودهما إلى حيث يريد!

* * *

٩ ـ ارحلي!

مرت الأسابيع كالحلم وكانت تمرّ بماكس وأليس بدون أن يلاحظاها فقد أصبحا حبيبين وصديقين وشريكي سكن. كانت أليس تترك مذكرات حب خاصة ليجدها ماكس في أماكن لا يتوقعها وهي مذكرات ملؤها الدعابة والإشارة إلى مشاعر عميقة تجعله يبتسم لذكرى لحظات غريبة من يومهما. كان يحمل إليها كل مساء الزهور ثم يتوجه معها إلى الفراش باكراً، ويستيقظان متأخرين... ونسيا كل الناس، نسيا الخال والعرّاب والأصدقاء والغرباء.. كانت أياماً ضاحكة، أياماً مشبوبة بالعاطفة، وصلت إلى نهايتها فجأة على يد الشخص الذي كان منذ البداية يحاول جمعهما معاً.

بعد ظهر أحد أيام كانون الأول استقلت الباص إلى المدينة، إلى حيث المبنى الذي يضم مكاتب شركة ماكس.

عندما دخلت إلى مكاتب شركة هاوتورن سألتها موظفة الاستقبال بابتسامة:

ـ صباح الخير.. هل لي أن أساعدك؟

ـ أجل.. شكراً لك.. أنا أليس هاو...

وصمتت. أيعرف موظفوه أنه متزوج؟

فغرت موظفة الاستقبال فمها تردد: «أليس هاوتورن؟».

إذن من الواضح أنهم يعرفون:

ـ أجل.. هل ماكس مشغول؟ أريد رؤيته.

- سيدة هاوتورن؟

وقفت شابة رائعة الجمال قرب أليس، وهي تحمل في يدها رزمة من الملفات. وابتسمت تمد يدها.

- أنا لورين ديلور، مساعدة زوجك التنفيذية.. أتعلمين أن زوجك لا ينفك عن التحدث عنك. من دواعي سروري لقاؤك.

صافحتها أليس: «شكراً لك. هل ماكس هنا؟»

- يكاد ينهي لقاءه مع زبون. لماذا لا تدخلين لانتظاره؟

وفيما كانت تسير برفقة المرأة إلى مقاعد الانتظار الزرقاء سمعت صوتاً يناديها. وكان المنادي داني هاوتورن الذي أردف قائلاً بعدما ابتعدت لورين:

- تحادثت وماكس بالأمس عبر الهاتف وقد بدا لي غريباً، فجئت إلى هنا هذا الصباح لأراه.

- غريب؟ ماذا تعني؟

- كان سعيداً والسعادة في عائلتنا أمر غريب، وأظنك المسؤولة عنها.

أجابت بتردد لأن داني غير مبتسم:

- كلانا.. سعيد.

- أنا أصيب في الحكم على الشخصيات أليس، وصدق شخصيتك يشع أمامي بجمال متألق.

دنا منها خطوة ثم قال بصوت ملؤه التهديد:

- لكن، إن سببت الألم لماكس هشمت عظام جسمك. لقد تعذب أخي كثيراً من قبل بسبب امرأة ولكن تلك المرأة نجت بفعلتها بدون عقاب حاملة معها مكافأة ضخمة من جدي أما أنت فأقسم أن أعاقبك إن أذيته.

- داني.. أعرف أن ماكس تلقى جرحاً عميقاً في الماضي فأنا أقرأه

في عينيه وفي بعض الأحيان أضبطه ينظر إليّ وكأنه يتساءل عما إذا كنت سأسبب له الألم أيضاً. لكن هذا ما لن يحدث أبداً لأن عذابه عذابي وألمه ألمي. فأنا أحبه حباً لا أستطيع وصفه لك بالكلمات وأظنه بدأ يحبني وأعتقد أن زواجنا مع بعض المساعدة سينجح.

نظر إليها بصمت لحظات طويلة، ثم انحنى يطبع قبلة على خدها:

- هذه قبلة تهنئة متأخرة للعروس، ألن يجعل هذا موظفي ماكس يثرثرون..؟ الأخ يغازل زوجة أخيه؟

نظر داني بسرعة ساخراً إلى النظرات التي سارعت في التواري، قبل أن يستدير ويرحل. وعادت أليس إلى الجلوس. ولكن ما هي إلا دقيقة حتى سمعت شخصاً آخر يناديها. رفعت رأسها مذهولة فآخر مكان تتوقع أن تجد فيه عرّابها، هو مكتب زوجها.. سأل وهو يتوقف أمامها: «أليس ماذا تفعلين؟»

- جئت لأحادث ماكس. ولكن الأهم ما تفعله أنت هنا؟

- أعتقد أنكما تشاجرتما من جديد، وأنا أحمد الله لأنني التقيت بك. فمن المستحسن أن أكلمك أنت أولاً، فلنذهب إلى مكان نتحدث فيه على انفراد.

اختار مكتباً صغيراً فارغاً وهناك سألت أليس:

- تشارلز.. لم هذه السرية كلها؟

تقدم إلى النافذة، مديراً ظهره لها. كان رجلاً أضنته الهموم، وأثقلته الأفكار.

- أليس.. لم أنفك منذ كنت في شقتكما عن التفكير في زواجكما.

- تشارلز كنت ذلك المساء فقط..

- لا تشرحي أليس لقد شاهدت بأم عيني طريقته في معاملتك.

- صدقني تشارلز أنا أعطي أكثر مما آخذ..

رفع يده، واهتمامه ما يزال منصباً على المنظر خارجاً.

ـ أرجوك دعيني أكمل. كنت مذنباً عندما حاولت معالجة حياة شخصين أهتم بهما غاية الاهتمام.. ولم أنجح سوى في إتعاسهما.

التفت إليها يواجهها:

ـ قد تكون هذا مفاجأة رهيبة لك أليس.. لكن ماكس هو ابن أختي.

ابن أخته! خاله! تشارلز خال ماكس! لم تستطع للوهلة الأولى استيعاب ما يقوله ولكن بعد الدهشة جاءت الصدمة! وأحست برغبة هستيرية للضحك. وتمنت بصدق لو يتوقف عرّابها عن الكلام.. فلا يمكن لهذا أن يكون صحيحاً. لن تستمع إليه، ولن تقبل ما يعنيه.

آه، تشارلز لا تفعل هذا بي. أرجوك لا تفعل!

ـ أردتُ أن تتزوجا، لأنني كنت مقتنعاً بأن أحدكما يليق بالآخر. وبما أن وضعكما المادي كان متأزماً اتخذته وسيلة للإسراع في التنفيذ. لا تقولي لي إنني ارتكبت غلطة فادحة لأنني أدرك هذا الآن، ولكن في ذاك الوقت حين نظرت إلى ماكس وإليك، بدا لي من المؤسف أن لا تكونا معاً. وهكذا دبرت أمر زواجكما ولكنني لم أدرك الكارثة التي أجركما إليها.

أحست بقلبها يكاد يتمزق في صدرها ففي كلمات تشارلز، الرد الكامل على تصرفات ماكس. لماذا لم تكن أرجح عقلاً؟ ألأنها تحبه؟ أهذا هو السبب؟ وها هي تدفع الثمن، ولكنه ثمن وحشي مرير.

توقف تشارلز عن السير، ووضع يديه على كتفيها، غير أنه لم ينتبه للتأثير المدمر الذي ينزله عليها.

ـ لم أقصد أن تكونا تعيسين أليس.. ظننت أن أحدكما سيعجب الآخر وبعدما تبادلت معك العشاء تأكدت أن الإعجاب قد بدأ يطرق بابيكما ولكن عندما اكتشفت استمرار الشجار وذلك من خلال الأحاديث الهاتفية معك أدركت ولأول مرة أنني أسأت. وها أنا الآن، أعرف فداحة غلطتي التي بتُّ مستعداً لإصلاحها.

لا، يا تشارلز أنت تنتزع مني ماكس، وتدمر حياتي.

ـ قلت لماكس منذ البداية إن عليه أن يكون لطيفاً وهددته بإلغاء الاتفاق إن عاملك بسوء غير أنه لم يحمل كلامي على محمل الجد.

انتفضت متألمة ففي الواقع أن ماكس حمل خاله على محمد الجد.. قالت عبر شفتين جافتين: «إن الشركة تعني له الكثير».

ـ الكثير الكثير.. كان قادراً على اللجوء إلى جده طلباً للمال بالطبع.. ولكن أدغار ارتكب بحقه غلطة فادحة لم يسامحه عليها ماكس ويبدو أنه وجدك أهون الشرين.

أهذا ما هي بالنسبة له؟ أهون الشرين؟ أحنت رأسها تاركة شعرها يسترسل على وجهها. لن تبكي أليس الآن، فلو بدأت لما تمكنت من التوقف.

فجأة أحس عرّابها بردة فعلها على ما أخبرها به:

ـ هل أنت على ما يرام؟

رفعت رأسها وهي لا تدري من أين جاءت بهذه الابتسامة:

ـ أنا بخير. لا تقلق.

ـ سأتحدث إلى ماكس وأقول له إن بإمكانه الاحتفاظ بالقرض دون الحاجة للإبقاء على هذا الزواج. وأنا واثق بأنه سيرفع هذا الحمل عن كاهله.

ـ أجل.. أجل.. أنا واثقة من هذا.

ـ أما بالنسبة لك، سيدتي الشابة فلن أصغي بعد الآن إلى ما تقولين في ما يتعلق بالإحسان. أنا عرّابك وإن قررت أن أسدّد الفواتير فلن تمنعيني أبداً.

ـ شكراً لك تشارلز.. أنا ممتنة جداً.

كان القلق يشوب صوته عندما سأل:

ـ أبكِ شيء أليس؟ تبدين مريضة!

- تشارلز، هل تقلني إلى المنزل؟ لا أشعر أنني على ما يرام.
- بالطبع سأقلك.

***

- لورين. أين زوجتي؟
رفعت الشقراء رأسها عن طاولتها بدهشة:
- كانت في قاعة الانتظار ماكس.
- لم أجدها هناك.
لقد تأخر مع ذلك الزبون البطيء الكلام والتفكير أكثر مما توقع.. ولكن إن جاءت أليس لرؤيته فلماذا لم تنتظر؟ مرر أصابعه في شعره. كان اليوم كله سيئاً ورؤيتها كانت ستجعله أفضل حالاً.
طلب من لورين أن تبحث عنها، فذهبت ثم عادت بعد فترة لتقول إن الجميع قد خرج لتناول الغداء.
- شكراً لورين.. اذهبي إلى الغداء أيضاً.
شعر بهاجس داخلي سيء مجنون وهو هاجس لم يخالجه مثله من قبل، كان غارقاً في هواجسه عندما قرع الباب وخرج منه تشارلز ويندورث.
وقف ببطء: «إنها مفاجأة تشارلز».
- أنا هنا لأكلمك بشأن زواجك بأليس.
- زواجي شأن خاص بيني وبين زوجتي.
- ليس حين أكون المسؤول عن تعاستها.
وجلس، فنظر ماكس إليه بحدة: «أليس ليست بتعيسة».
- أتريد أن أصدق ما تقول؟ حسناً لن تنجح. رأيتها في قاعة الانتظار منذ قليل وتبادلنا الأحاديث وقد أخبرتها بأنني خالك و..
صاح ماكس يقاطعه بحدة:
- ولماذا فعلت هذا بالله عليك؟

- لأن هذا الزواج المهزلة انتهى. رأيت بأم عيني حزنها وذلك عندما جئت إلى شقتكما ذلك اليوم.. وبما أنني أعرفك خير معرفة فقد أدركت أنك تهينها وتسيء معاملتها لذا ليس غريباً أن تكرهك.
أحس ماكس أنه تلقى ضربة فأس على رأسه: «أهذا ما قالته؟»
ارتدَّ في مقعده ببطء متوتراً يراوده اندفاع متصاعد لقتل خاله أو زوجته.
- ماذا قالت لك بالضبط حين كشفت لها صلتك بي؟
- لا أذكر بالضبط ما قالته.. لأنني أنا من كنت أتكلم. كانت مذهولة بالطبع، وتوقعت أن تكون غاضبة.. ولكنها لم..
- ماذا قالت.. تشارلز؟
- قالت إن متاعبها كلها انتهت. ووافقت على أن أعطيها أنا المال الذي تحتاج إليه. وقد أراحها التنصل من الزواج بسهولة. آه، ليتني لم أرتب لهذا الزواج أصلاً.
ها قد حدث ما حدث مرة أخرى. أعط المرأة بعض المال وثق بأنها ستهرب منك بدون النظر إلى الخلف، أيها المغفل اللعين.
أردف تشارلز:
- أنا مسرور بطريقة ما لأن هذا الزواج لم يتطور إلى ما خططت له. فطالما قالت أليس، إنها لن تسمح لشيء مهما كان بالحؤول دون مستقبل عملي رفيع المستوى.
- إذن.. من حسن الحظ أنني لم أقع في حبها.
- هذا ما أظنه.. ولكنني أظن أيضاً أنك قد تقع في الحب يوماً ما.
ارتد بصره عنه، ثم عاد إليه:
- بل أنا بعيد عن الوقوع في الحب الذي لا يهمني أبداً.
- أشكر الله على هذا، لأنك لو وقعت في حب أليس لما سامحت نفسي أبداً.

www.elromancia.com

لم يلاحظ كراهيتها للزواج. . ولكن لا بد لممثلة بارعة مثلها أن تكون حذرة في إخفاء مشاعرها.

- تشارلز. . لماذا تزوجتني أليس؟

- تعرف السبب. . كانت بحاجة إلى المال، وكانت مستعدة لفعل أي شيء للحصول عليه إلا أخذه مني.

أحس ماكس باندفاع لتحطيم أي شيء، وسأل: «أي شيء؟»

- بكل تأكيد، كانت مستعدة للذهاب إلى الجحيم إن لزم الأمر. إنها أقسى عوداً مما تبدو. . هذه هي ابنتي بالعمادة.

- وهذا ما ذكرته لي مرة.

- والآن. . بشأن إلغاء الزواج.

وقف ماكس: «سأهتم به بنفسي. عندي اجتماع بعد خمس دقائق تشارلز لذا أعذرني».

وقف تشارلز: «بكل تأكيد».

لقد سوي الأمر وأصبح في مزاج مرح:

- سأبقى في المدينة طوال اليوم. . لماذا لا نتناول ثلاثتنا وأنا وأنت وأليس العشاء هذا المساء للاحتفال بالافتراق؟ هذا، إن استطعتما التخلي عن الشجار بضع ساعات.

- ليس الليلة تشارلز لدي موعد. ربما في وقت آخر.

رافق ماكس خاله حتى الباب بطريقة آلية ثم أقفل بعد ذلك الباب وراءه، وعاد إلى مكتبه حيث جلس يحدق في الفراغ. ليس الغضب هو الحل. أليس هي الحل، ولكنها ليست هنا ليلجأ إليها. ولم تكن يوماً في الحقيقة معه، فما أغباه! ارتد في كرسيه يتساءل كم من الوقت يحتاج هذا الألم ليتوقف. إنه يعرف أن زمناً طويلاً سيمضي، وإن الألم هذه المرة سيقتله قبل أن يتوقف.

دلكت أليس جبهتها بقلق وقد جفت الدموع من مآقيها ونسيتها.

ربما لم تعرف ماكس معرفة جيدة كما ظنت. كان قادراً على أن يكون بلا رحمة في سبيل إنقاذ شركته، كان يمكنه بسهولة أن يركز على استسلامها له، ليستخدم استسلامها وسيلة لضمان قرض خاله، وليمتع نفسه أيضاً. وكان مأربه دوماً التسلل من الفخ المطبق حالما تنتهي مدة عقدهما. أهو دافىء مهتم ظاهرياً وأناني تهمه مصلحته باطنياً؟

بعد اعتراف تشارلز باتت أليس غير متأكدة من شيء. . من الأرجح أن ماكس تحت ضغوط خاله وإجباره على الزواج بها مال إلى تنفيذ لعبة القط والفأرة الظالمة ولكنه أخيراً أعجب بالفأرة وهذا أمر هي مؤكدة منه فقد كان في مزاحه عفوياً وفي غضبه صادقاً وفي قلقه طبيعياً. ولكن لو كان ماكس بريئاً من كل الدوافع الخفية، فهل قرر بكل بساطة عدم التورط معها ومال إلى حرية العزوبية؟ لقد بدا بكل تأكيد مستمتعاً بعلاقتهما، قانعاً بها إنما يبدو أنه أراد هذه العلاقة بدون حب أو ذكريات أو أطفال. آه طفل!

حضنت القطين، وتجمعت الدموع في مآقيها ثانية. . لقد أحبت ماكس، وحبها يمنعها عن سوء الظن به. إنه حب عميق لا يُنسى أبداً، لذا يجب أن تثق بالرجل الذي جعله ينمو مهما كانت نواياه في البداية، فهو الآن يهتم بها، ولن يتخلى طوعاً عن السعادة التي يتشاطرانها. إن آمالها كل آمالها أن يدرك هذا قبل أن تنكشف نتيجة سعادتهما الرئيسية.

حين وصل ماكس إلى البيت ذلك المساء، استقبلته أليس بإيمان كامل بصدقه وباستعداد لتفكيك العقدة التي سبّبها تشارلز ولكن لم يتبادر إلى ذهنها أبداً أن عرابها الأخرق لم يعقد الحبل فقط، بل قطعه إلى نصفين. .

- ماكسيم! أنا آسفة لأنني تركت المكتب قبل أن أراك ولكن. .

تجاهل القبلة التي أرادت أن تطبعها على خده ومرّ بها ثم وقف في ردهة المدخل ليفتش في بريده الملقى على الطاولة.

ـ فهمت أن عرّابك، خالي قرر توقيف الاتفاق الذي دبره لإيصال المال إليك، ووعد بأن يعطيك إياه بشكل مباشر.

بعث صوته البارد الذهول إليها.

ـ أجل ماكسيم.. وأنا..

قاطعها بحدة:

ـ لا تناديني ماكسيم، ولننسَ سخافة القول إننا كنا سعيدين أما الآن فعلي أن أرحل!

رمى بريده من يده والتفت يواجهها:

ـ أمقت الوداع الطويل الممل.. ألا تمقتينه؟

نظرت إليه مخدرة الإحساس، فهذا الرجل البارد المنعزل ليس زوجها.

همست وهي ترفض أن تصدق ما سمعت: «الوداع».

ـ هيا الآن أليس.. لا يمكنك الاستمرار في العيش معي هنا! وأنا واثق أنك قادرة على إيجاد شقة أخرى تناسبك كهذه.. لكن تأكدي من حمل البسط والنباتات معك.. هه؟

مدت يداً مرتجفة وشرعت تتوسله:

ـ ماكسيم ماذا تقول؟

دفع بيدها عنه: «لا تمثلي دور الفتاة الصغيرة الضائعة. أتظنين أنك قادرة على أخذ مال تشارلز ومالي معاً؟ لكنني لست ساذجاً إلى هذا الحد فأنا راحل في الغد في رحلة عمل، لذلك تستطيعين البقاء هنا حتى نهاية الشهر».

مزقتها كلماته وصدمتها بقوة الكراهية المشبعة فيها. نظرت إليه فرأت ما رأته فيه في لقائهما الأول. البرود الشديد واللامبالاة. أخيراً، صدّق قلبها ما كان عقلها مصمماً على إيصاله إليها. لم تفكر في أن ماكس خدعها واستغلها، بل فكرت في أنه بكل بساطة لم يحبها.

طأطأت رأسها كئيبة، ولم تهتم بالمقاتلة، فقد دفن ماكس ذلك الجزء من نفسه الذي تقدّره. ولم يبق أمامها سوى ذكرى تواجهها، ولا يمكنها أن تؤلم شيئاً ثميناً لا يقدر بثمن. ولا يمكنها أيضاً أن تتركه دون أن تبوح له بالحقيقة. وبطريقة لا واعية منها ألقت كلمة رثاء على حبها اليائس، وقالت بصوت منخفض:

ـ ماكسيم، لقد حاولت فهمك، لكن من الواضح أنني فشلت.. طلبت مني مهلة فأمهلتك، ولكن لم تكن المهلة على ما يبدو كافية. ومنحتك جسدي وقلبي وروحي، ومع ذلك تبدو وكأنك تريد المزيد. ولكنك استنفذت ما لدي حتى بت غير قادرة على منحك المزيد.

رفعت عينين مغرورقتين بالدموع إلى وجهه:

ـ أحبك ماكسيم. ربما كان عليّ أن أعترف بحبي منذ أسابيع.. ربما هذا ما كنت بحاجة إليه لتبادلني الحب. ولكنني لم أرغب في استعجالك. لم أرغب في إخافتك. أما الآن فقد فات الأوان، وها قد خسرتك وأصبحت غريباً مرة أخرى. شخصاً لا أعرفه.. و..

وتهدج صوتها، وتدحرجت دمعة إلى خدها:

ـ.. و.. الآن، أنت شخص لا أريد أن أحبه.

ابتعدت عن ماكس كسيرة الفؤاد محنية الكتفين.

ـ أليس.. لا تذهبي..

توقفت حالما سمعت الصوت الممزق الذي أطلقه ماكس. كانت تعلم أنه رغم كلماته القاسية يتعذب ولكنها لم تستدر لترى مدى عذابه. فالاستدارة ستعني الاستسلام. لقد نفذ الوقت، والآن على ماكس القيام بالخطوة الأولى.

همست بصوت معذب: «لا أستطيع تحمل المزيد ماكسيم، سأعود إلى عائلتي في ويلز. فإن أردتني، وجدتني هناك وإن لم تردني فكن لطيفاً في التعامل مع القطين!»

www.elromancia.com

١٠ ـ توقف يا زمن!

قالت شاني لابنتها الصغيرة:

ـ غريتا حبيبتي، لماذا لا تذهبين إلى المطبخ لتري ما يحضره لنا الجد ونانا للعشاء؟

ضربت صغيرتها تحبباً على مؤخرتها، وراقبتها مبتسمة، هي تعرج إلى خارج غرفة النوم.

ـ لقد تحسنت كثيراً.

ـ كأمها.. كلاكما قوي.

مدت شاني يدها لتملس ياقة قميص أليس:

ـ أليس كيف تشعرين الآن؟

ـ يصيبني دوار صباحي وقيء مرة واحدة في اليوم. الآن بدأت أتحسن.

ـ مرت ثلاثة أيام منذ تأكيد شكوكك أليس.. يجب أن تخبري ماكس بأمر الطفل.

ـ لا..! إنه لا يحبني، ولا يهتم بأمري، فلماذا يجب أن يهتم بأمر طفلنا؟

ـ لكنه سيعرف عاجلاً أم آجلاً. أنت حامل في الأسبوع السابع وما هي إلا أشهر حتى يظهر الحمل.

ـ عندما يظهر حملي لن يكون هنا ليراه.

سألتها شاني بقلق:

ـ هل ستتركين ماكس إلى الأبد أليس؟

ـ أجل..

دست يديها في جيبي الجينز الأماميتين، واستدارت لتستند إلى النافذة ونظرتها الكئيبة مركزة على الخف الذي تنتعله.

ـ لقد تزوجني من أجل المال، أما المعاشرة الزوجية فقد كانت مكافأة إضافية له.. وافقت على قبول مساعدة تشارلز لتسديد ديون المستشفى شاني.. فهناك شيء يدعى الكرامة المبالغ فيها، وهو فعلاً يريد المساعدة.. ويمكننا إعادة ماله له، بعد فترة من الزمن.. و..

ـ أنا سأسدد له..

ـ لا.. بل أنا. بعد تخرجي سأجد وظيفة هنا، وأبدأ بتسديد مال تشارلز وعندها باستطاعتنا نحن الخمسة العيش في هذا المنزل معتمدين على راتبي.

ـ ألا تنسين شيئاً؟

تلاشت ابتسامة أليس.. لا.. لن تنسى.. فالطفل سيولد في أوائل أيلول وحين تتخرج ستكون حاملاً في شهرها السادس وهذا يعني أن إيجاد العمل الذي تريد أمر صعب.

ـ أما زلت مغرمة به أليس؟

كانت الدموع التي تجمعت في مآقي أليس الرد الكافي على سؤالها.

ـ آه حبيبتي.. ليت بيدي حيلة.

ـ لا بأس عليّ. لا أريد أن أحبه شاني.. ولكنني غير قادرة على التوقف عن حبه.. لا أنفك عن تذكر كافة الأمور الصغيرة التي فعلناها معاً..

لم تتكلم أي منهما لدقائق. ثم رن جرس الهاتف في المطبخ، فدفعت أليس نفسها عن النافذة مكرهة وتوجهت لترد. إلا أن شاني أشارت إليها بالعودة:

ـ سيرد جدي أو جدتي.

www.elromancia.com

توقف الرنين عندما رفع أحدهم السماعة. وعادت الشقيقتان إلى حديثهما السابق ولكن بعد فترة وجيزة تذكرت أليس أنها وعدت جديها بإعداد البسكويت.

فقالت: هيا يا عزيزتي إلى المطبخ.

قادت شاني الكرسي المتحرك إلى الردهة ثم إلى المطبخ وهناك لم يجدا جديهما بل وجدا غريتا واقفة على كرسي مرتفع، مشغولة بأفضل لعبة لديها.. الحديث هاتفياً.. كان ظهرها لأمها وخالتها غير أن ما ذكرته هاتفياً هو ما صدمهما.

ـ لا تستطيع المجيء إلى الهاتف الآن عمي.. إنها تبكي.. أليس تبكي باستمرار. إنها حامل بطفل.. ولكنني لم أره بعد.. هل رأيته عمي ماكس؟

همست أليس: «آه، يا إلهي ماكس؟»

هرعت إلى الهاتف تخطفه من يد ابنة أختها وتلف ذراعها حول خصر الصغيرة لتبقى آمنة فوق الكرسي. وضعت السماعة على أذنها ولكنها سمعت تكتكة الإقفال في الناحية الأخرى، فصاحت: «ماكس، ماكس؟»

قالت غريتا باهتمام: «أخبرت ذلك الرجل عن الطفل يا خالتي، فقد قال إنه زوجك وإن اسمه ماكس إذن فهو عمي ماكس، أليس كذلك؟»

أعادت أليس السماعة ببطء. لقد سقطت المطرقة. إذا كان ماكس قد اتصل، فهذا يعني أنها الخطوة الأولى التي أرادت أن يقوم بها. ولكنه الآن لن يتمَّ هذه الخطوة، فالقبول بزوجة أمر وبالعائلة أمر آخر..

ـ أهو كذلك خالتي أليس؟

ـ ماذا؟ آه، أجل حبيبتي، إنه عمك ماكس.

قالت الأخت بهدوء:

ـ إنها صدمة له أليس. أمهليه وقتاً ليتغلب عليها.

ـ هذا لا ينفع شاني. ماكس يخاف من الحب، وهو الآن خائف من الطفل، والآن إن أتى إليَّ فإنما سيكون ذلك ليبحث مسألة إعالة طفله.

وأغمضت عينيها كأنما تمنعهما من رؤية العذاب الذي كان يخترق روحها.

***

قالت لويز فيرلاي وهي تضع كومة مطوية بعناية من الملابس في حقيبة حقيدتها:

ـ ماذا ستفعلين الآن؟

ـ وجد لي تشارلز شقة مفروشة قريبة من الجامعة. سأحمل إليها أغراضي ففي هذا الوقت ستفتح الجامعة أبوابها للفصل الأخير.

أشارت مخابرة ماكس المفاجئة ليلة أمس، إلى نهاية علاقتهما وكان أن قررت بعد ذاك الاتصال العودة إلى لندن.

ـ وصل التاكسي.

ـ عظيم، فلنذهب.

عندما أقلها السائق إلى المطار وجدت قاعة الخروج مكتظة بالمسافرين العائدين من رحلة عطلة الميلاد. تحققت أليس من حقائبها، ثم شقت طريقها حتى وجدت مقعداً فارغاً تنتظر فيه نداء رحلتها. وطفق الناس يستديرون حولها ضاحكين، هازجين. أما هي فدست ذقنها في دفء وشاحها الصوفي محاولة إقصاء ما تبقى من العالم بعيداً عنها.

كادت أليس تنثني على نفسها من العذاب.. متى سيتوقف حبها عن إيلامها؟ قد تقنع نفسها مرات ومرات بأن ماكس لا يهتم بها، ولا يحتاج إليها، ولا يصدق ما تقول، ولكن قلبها لن يتخلى بسهولة عما قاتلت بشراسة وعناد من أجله.. إنها تحتاج إلى زوجها وتشتاق إليه، وطفلها

سيحتاج قريباً إلى أبيه. الذي سيكون أباً عظيماً لو استطاع أن يحب الزوجة. آه، يا الله لماذا ليس ماكس هنا معها الآن؟ طفلهما مسؤولية مخيفة، ولن تتمكن من رعايته وحدها.. إنها تحتاج إلى مساعدة ماكس. تحتاج إليه..

«ما أضخم هذا الرجل».

ابتلعت أليس ضحكة قوية.. فقد ذكرتها الكلمات الدهشة بالمرة الأولى التي قابلت فيها ماكس وطغى عليها الحنين إلى ذلك اليوم الذي بدا لها بعيداً بعيداً. ورفعت رأسها لتقارن ذلك الضخم بالآخر الآن. كان هناك رجل، في مطلع الثلاثين، يشق طريقه بصعوبة بين جموع الأطفال وفي إحدى يديه صندوق كرتوني كبير ملفوف بورق فضي، إلى صدره. أما اليد الأخرى فكانت مضمومة بشدة حول مقبض معدني هو لحمالة قطط خشبية، كان دون شك أبهى طلعة من جميع الرجال الذين سبق أن رأتهم من قبل. كانت عيناه زرقاوان مضيئتان مستقرتين تحت حاجبين مستقيمين، وفيهما شعلة دفء لطيفة تشبه البسمة الساحرة التي تفرج شفتيه. كان أطول من رجال كثير متحلقين حوله ولكنه كان يتحرك برشاقة العارف بوجهته وغير الراغب في الوصول أيضاً. بدا رجلاً نادراً ما يفقد شيئاً، لكن حين يفقد شيئاً، ويدرك مدى أهمية ما فقد يعمد إلى البحث عنه إلى آخر عمره حتى يجده، أو يموت دونه.

حركت هذه الفكرة جمر النار المنطفئة. أشاحت أليس بوجهها عن تلك النظرة المألوفة فلن تبدأ بالأمل مجدداً.. لن تضع نفسها ثانية على طريق زيارة الجحيم! وفكرت بعذاب متجدد: أرجوك ماكسيم، دعني وشأني، لقد انتهى الأمر بيننا.

ـ السيدة هاوتورن؟

رفعت رأسها طوعاً، مذهولة للخطاب الرسمي: «ماذا؟»

ـ أنت أليسون هاوتورن؟

ـ أنا.. أجل.

ـ أنا ماكسيم هاوتورن.

نظر إلى وجهها الشاحب وكانت أنظار الناس متوجهة إليهما بسبب الهدية وحمالة القطط اللتين يحملهما.

ـ لا أدري، إذا كنت تودين الاستماع، لكن لدي اقتراح أتقدم به إليك.

ـ أي نوع من الاقتراحات؟

آه، يا أمل. انصرف عني ومت!

كان الألم يشتعل في هاتين العينين القاتمتين فعرفت أليس أن ماكس قاوم أيضاً كثيراً لمعايشة هذه المعاناة.

ـ إن قبلت بالبقاء زوجتي وعشت معي إلى آخر العمر أعطك كل الحب والثقة اللتين انتزعتهما منك، وأكثر..

تقدم خطوة نحوها ونحو مستقبلهما، غير عابىء باهتمام العيون المذهولة حولهما.

ـ أحتاج إليك أليس، وأحبك. أتعودين إلى المنزل معي؟

ردت، بصوت لا يكاد يبلغ الهمس:

ـ آه، ماكسيم.

وهبت واقفة ورمت نفسها بين ذراعيه في الوقت الذي رمى هو نفسه إليها أيضاً. أحد الأشخاص خلّص حمالة القطط والصندوق من يدي ماكس وأرفق هذه الحركة بتعليق مرح أثار ضحك الناس من حولهما.

همست أليس ثانية على خشونة فكه، تلف ذراعيها حوله:

ـ أحبك أنا أيضاً ماكسيم. اشتقت إليك كثيراً كثيراً.. وأريد العودة إلى المنزل.

ضمها إليه بشغف وغمرها في عناق نَهِم جائع قاسي يطلب فيه الغفران. وطال العناق حتى توقف ماكس ببطء ومضض.

أعلن صبي مراهق بحماس: «هذا ما أسميه عناقاً يا رجل».

افترق ماكس عن أليس، وهما يشعران بالحرج. قالت أليس بصوت منخفض:

ـ فلنخرج من هنا ماكسيم.

ـ عرض علينا داني، استخدام منزله فهو خارج المدينة. وفي الخارج سيارة تنتظرنا تعالي.

أعطى ماكس التوجيهات للسائق، ثم ضغط الزر الذي يقفل حاجز الزجاج بين المقدمة والمؤخرة... ثم لم يلبث أن وجدت أليس نفسها قلقة فانحنت إلى الأمام تنظر إلى حمالة القطط عند قدميها:

ـ إنهما هادئان.

دلك مؤخرة عنقه بخشونة: «آه، لقد خدّرتهما قليلاً لأن السفر بقسم الشحن في الطائرة، كان سيرعبهما».

ـ آه، يا للمسكينين..

رفعتهما من الحمالة إلى حجرها: «يبدوان مخدرين جداً».

ـ أقسم أنني لم أفعل هذا بنفسي. لقد حقنهما الطبيب البيطري حقنة صغيرة، فغرقا في أرض الأحلام. لم أستطع تركهما في المنزل. أليس حبيبتي كنت نذلاً وأنا آسف..

ضغطت أصابعها بسرعة على فمه، تسكته:

ـ حبيبي. لا تأسف لقد ارتكب كلانا أخطاء. والأهم الآن أن تدوم التجربة. علينا في الوقت الحالي الانطلاق إلى الأمام دون النظر إلى الأيام الغابرة. اتفقنا ماكسيم؟

شدها إلى صدره، يريح رأسه على شعرها الأسود الناعم.

ـ حسناً أليسون.

لكنها لم تشاهد وميض الدموع في عينيه، هذه الدموع التي سارع إلى كبحها بسرعة.. لقد سار فترة طويلة وحده متوقعاً البقاء مسافراً في

ظلام دامس حيث لن يجد أبداً ذلك النور الذي سيخرجه من البرود. ولكنه وجد النور الذي طاف مشعاً حتى بدّد الظلال السوداء المحدقة به. وهو يعد نفسه بالمحافظة عليه حتى يراه العالم. وهو بنفسه، بعجرفته اللعينة، من اندفع بجهد إلى تدميره ولكنه لن يكرّر تلك الغلطة الفادحة. أليس هي نوره المشرق وحلمه، وحب حياته. لقد وهبته روحها، وحان له أن يهبها روحه.

كان الزمان متوقفاً والعالم الخارجي منسياً بالنسبة للحبيبين المتعانقين في غرفة نوم داني.

سألها ماكس ويده تضم خصرها: «أليس متى الاستحقاق؟»

ـ أوائل أيلول.

ـ أمامنا وقت طويل إذن.

وضعت رأسها على صدره:

ـ لقد حملت الطفل منذ الليلة الأولى ماكسيم.. ولا بد أنك قصدت أن أحمل منذ البداية.

أرجع شعرها الأسود عن كتفيها العاجيتين ليستطيع رؤية وجهها:

ـ هذا حكم مقصود ولكنني أحسست أني بذلك أجعلك غير قادرة على تركي بعد سنة.

ـ لماذا قطعت المخابرة حين عرفت أنني حامل؟

ـ لأنك كنت تبكين.. وأدركت لحظتئذ ما قد يفعل حملك بمشاريع عملك ومستقبلك.. وكنت أعرف مدى أهمية مستقبلك العملي، مع ذلك مضيت قدماً في..

ـ ماكسيم إنّ ما أرغب في الحصول عليه أكثر من الطفل هو أنت.. كنت أبكي لأنني كنت غير قادرة على إخطارك بحملي وكنت أرفض أن تعود إليّ من أجل الطفل.

أنزل رأسها ثانية إلى صدره:

www.elromancia.com

- ألم يتبادر إلى ذهنك أبداً، يا زوجتي المحبوبة أننا لا نتكلم عن مشاكلنا بشكل كاف؟

- بل تبادرت إلى ذهني هذه الفكرة أكثر من مرة . .

أضافت متنهدة: «ماكسيم؟»

- هه؟

- ماذا حدث ذلك اليوم؟ كنا في غاية السعادة وفجأة، برز ذلك الكره والبرود . .

- إنه تشارلز الذي قال لي إنك تكرهينني وقد حدث ذلك في المكتب يوم جاء . .

جلست بحدة وسخط:

- ماكسيم لم أقل هذا. المرة الوحيدة التي قلت هذا فيها كان ذلك المساء حين جاء إلى الشقة، ولم أكن أعني ما أقول.

- أعرف ويبدو أنه كان يشير إلى هذه المرة لكنني كنت مصدوماً فلم أفكر بوضوح. ثم وصف لي مدى الراحة التي شعرت بها لأن متاعبك انتهت.

- متاعبي؟ لم يكن لدي متاعب إلا بعد ما أخبرني أنه خالك، وأنه هدّدك بحرمانك من القرض إن أسأت معاملتي.

تأوه ماكس: «نعم لقد هددني ولكنني قلت له ألا يدفعني إلى هذا المدى. يا الله! لو كنت أعلم أنه قال لك ذلك لنعتّه بالأبله وعدت فوراً إلى المنزل لئلا تفسري كلامي على محمل خاطىء. ولكنني عوضاً عن ذلك جلست أصغي إليه، وهو يقول إنك لن تسمحي للحب بعرقلة مستقبلك العملي، ثم قال إنك تفعلين أي شيء للحصول على المال».

- ولكني أردت المال من أجل عائلتي! أووه. . ! أود لو أقذفه بشيء ما! كيف يقول لك ذلك بدون شرح؟

غطت عينيها بيديها إحباطاً. . تشارلز! السبب دائماً تشارلز!

- ماكسيم، في الربيع الماضي قتل والداي وصهري في حادثة سيارة وأصيبت شقيقتي وابنتها بجراح بليغة وهذا ما جعلني بحاجة إلى تسديد فواتير المستشفى التي كانت تقلق شقيقتي وجدتي كثيراً. لهذا تزوجتك، وليس لسبب آخر.

ضمها إليه: آه، يا حبيبتي ما أشدّ أسفي وحزني لأنني لم أواسك في محنتك فأنا مثلك فقدت والدي وكنت يومذاك في الثانية عشرة وما زلت أذكر حتى الآن الإحساس المدمر بالحرمان. كنت تعانين ومع ذلك لم يقدم لك زوجك السيء بعض المساعدة.

- بل ساعدتني بوجودك الذي كان الدافع لاستمراري. ولكن كان عليّ البوح لك بمشاكلي عوضاً عن الخوف من أن تستغل حاجتي المادية لأغراضك.

- ولم يخبرني تشارلز كذلك وطلب مني أن لا أخبرك بأنه خالي. أمام تشارلز إجابات كثيرة يرد عليها، فلا أظن أنني انتهيت منه.

- وهل واجهته؟

- نعم طبعاً فقد أخرجته من اجتماع مجلس إدارة، وأبلغته بألا يقترب منك أو يتصل بك، وألا يفكر فيك حتى. ثم قلت له إنه أسوأ مانع زيجات في التاريخ، لأنه بيده دمر الزواج الذي سعى إليه ثم هددته بألا نكلمه أنا أو أنت إذا دسّ أنفه بعد الآن بزواجنا. إنه محظوظ إن دعوناه إلى الزفاف بعد عودة المياه إلى مجاريها في ما بيننا.

- أنت محق، فأنت لم تواجهه حتى الآن كما يجب.

بما أن الموقف انتهى تحركت لديها روح المرح. فقالت ضاحكة.

- يا لتشارلز ولتدبير الزواج! كنت أتساءل لماذا يستمر في الاتصال. . ولماذا كلما اتصل وجدني على خلاف معك؟

استجابت ضحكة خافتة في صدر ماكس:

- وتلك الليلة التي زارنا فيها، قلت له إننا نتشاجر يومياً.

- مسكين ذلك الرجل لأنه ظننا عدوين لدودين.. ولهذا آمن بأن زواجنا الذي سعى إليه قد فشل!

- هنا تكمن سخرية القدر فقد عمد إلى فصلنا عندما توقفنا عن الشجار.

- لا بد أنه يشعر بالتعاسة الآن، ويجب حقاً أن نخرجه من بؤسه.

- أجل.. أظن هذا.

تبادلا النظرات، ثم قالا في صوت واحد:

- لكنه لن يكون عرّاب طفلنا.

وأغرقا في الضحك. وقال ماكس:

- سأتصل به غداً لأعلمه بأننا سنبقى متزوجين إكراماً له.

- أتظن أن هذا سيثبط عزيمته عن محاولة تدبير أي زواج؟

- لا أدري. فمما قاله استنتجت أنه ينوي تعريف داني إلى امرأة بغية الزواج.

- آه، يجب أن نحذر أخاك.

- كلام هراء. فقد كنت محظوظاً بالزوجة التي اختارها لي، وقد يحالف داني الحظ نفسه!

دست رأسها بين ذراعيه: «همم ماكسيم، أحبك».

- وأنا أحبك أليس.

بعد قليل قالت أليس:

- ماكسيم؟ ما الذي فعله جدك بك؟

اعتقدت أنه لن يرد ولكنه لم يلبث أن قال بصوت خال من التعبير:

- دفع لخطيبتي مالاً لتجهض ولتترك المدينة.. لم يشأ أن أرتبط وأنا في تلك السن الصغيرة، بل أراد أن أركز اهتمامي على شركته.

أحست أليس أن الأسى الذي استمر ثلاثة عشر عاماً لم يكن بسبب الخلاف الذي قام بينه وبين جده، بل بسبب الطفل الذي فقده.. شدت

على ماكس تحاول أن تأخذ لنفسها القليل من ألمه الذي يشاركها به أخيراً.

- ألهذا حاولت إبعاد نفسك عني ماكسيم؟ ألأنك خشيت أن أخدعك أيضاً؟

- ربما شككت في البداية ولكن الشكوك لم تدم. أليس كنت مستعداً للالتزام بزواجنا ولكنني كنت أؤمن أن مستقبلك العملي أهم عندك من كل شيء.. لذلك أردت الانتظار. لقد أحسست بالإرباك حين اعترفت لي بحبك. لم أصدق حظي، وقلت لنفسي إنك بحاجة للوقت للتفكير. ثم حين اكتشفت أنك حامل ظننتني دمرت لك مخططاتك فبت عالقة بالطفل الذي حملته بسبب أنانيتي وخلتك تكرهينني لما فعلت.

رفع يدها اليسرى إلى فمه يلثم خاتم الزواج وأردف:

- حين استيقظت هذا الصباح صدمتني الصاعقة وأنارت تفكيري.. فصدقت أخيراً أنك تحبينني، وأنك تريدين طفلنا.. وعرفت أيضاً أن زواجنا لن يحول دون بلوغك ألمع المراتب في الحقل العملي. وعرفت أن بإمكاننا الحصول على كل شيء في آن واحد وأن ذلك لن يحدث إلا إذا استطعت الوصول إليك في الوقت المناسب.

- إذن، كان الذنب في عدم التزامك ذنبي طوال الوقت؟

أحست بالبسمة ترافق كلامها:

- بالطبع كان ذنبك.. وكل ما كان عليك فعله حبيبتي هو قول ثلاث كلمات صغيرة فلو قلتها لأصبحت منذ تلك اللحظة عبدك مدى الحياة. أما الآن فأنا زوجك. حظ سيء. هه؟

- أظنني قادرة على العيش مع هذا ماكسيم. قلت إنك رأيت جدك في الأسبوع الماضي.

- أجل.. لقد رشا روز ماري في الماضي.. وكنت أشعر بأنه سيحاول رشوتك إذا ما علم بأمر زواجنا. علمت أنه لن ينجح، ولكنه

www.elromancia.com

كان سيسبب الخراب للمصالحة التي قد تجري بيننا فكان إن ذهبت لمواجهته فهددته بأن ينسى أن له حفيداً آخر. ولكن هذا لم يكن ضرورياً لأنني لم أجدعنده مشاعر أبداً فلا كراهية ولا مرارة. والله أعلم بأنني ما أحببته قط. لقد عامل شقيقتي وكأنها غير موجودة، ثم ضربني وشقيقي في طفولتنا لنطيعه وهكذا نحن لا ندين له بشيء وبسبب معاملته تلك لم يجد أحد منا قربه في آخر أيامه.. لقد جعلني هذا كله أشعر بقلة الاكتراث.

- يوماً ما سيندم على ما فعل و..

- ربما.. وسنرى.. والآن إلى الأشياء المهمة.. هل أخبرتك بأني وضعت لائحة؟

مررت أصبعها على أنفه: «لائحة بماذا؟ بمساوئك؟»

- ليس لدي مساوىء! لقد حولتني إلى أنموذج للفضيلة.

- إذن على ماذا تحتوي هذه اللائحة؟

- على كل شيء. الأسماء، وما يلزم الطفل، من ثياب وحاجات. أريد هذا الطفل أليس وأريدك.

- تريدني بأكثر من طريقة.

شد عليها معاقباً. فأحست بوعد بالمزيد من السعادة والبهجة. ولكنها مدت يدها إلى الهاتف ووضعته بينهما على السرير الكبير في غرفة نوم داني الرئيسية:

- انتظر ماكسيم. يجب أن أتصل بشاني وبجديَّ ليعرفوا بالنهاية السعيدة. بعد ذلك.. بإمكانك فعل ما تريد بي.

كانت تطلب الرقم وهي تتكلم، وأصغت بانتظار الرد.

- آلو.. جدي.. هذا أنا.. أليس.. أنا مع زوجي الآن وسنأتي لزيارتكم في الغد.. أنا وتومي وبومبر وماكس والطفل...

* * *